الشوقيات
الجزء الرابع
أحمد شوقي

اهداءات ٢٠٠٢

الشيخ/ عبد العزيز توفيق جاويد
شيخ المترجمين - القاهرة



الشوقيات

الجزء الرابع

أحمد شوقي

طبع بعد وفاته

ملتزم الطبع والنشر
المكتبة التجارية الكبرى بمصر

مطبعة الاستقامة بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الأستاذ محمد سعيد العريان

كان شوقى رحمه الله شاعراً ملء سمع الشرق ، ما يلفظ من قول إلا لقفته الآلاف عن الآلاف من أبناء الأمة العربية ، تُنشده وتتغنى به وتضربه مثلاً ؛ وما أحسب شاعراً فى الأمة العربية منذ كانت وكان الشعر قد ذهب صيتُه فى الناس حيًّا مذهبَ شوقى ولا بلغ مبلغه ؛ وقد كان حقيقاً بما بلغ ؛ لا مِن أنه شاعر العربية الأول ، ولا مِن أن الأمة العربية قد عقمتْ فلم تنجب مثله فى تاريخها المتطاول ؛ ولكنه جاء على فترةٍ انقطع فيها أملُ الآمل فى نهضة الشعر العربى بعد ما ناله من الانحطاط والركة وضيق المذهب وسوء التناول . وكأنما كان البارودى مِن قبله إرهاصاً له ودعوة إليه وتنبيها إلى فضله ومكانه ؛ وقد كان البارودى بما اجتمع له من أدوات الشعر وبما تهيأ له من أسبابه العامة والخاصة أولَ مَن بعث الحياة فى هذا الجسد الهامد ونفخ فيه من قوته وخلع عليه من شبابه ، فكان تصديراً بليغاً لهذا الفصل الجديد فى تاريخ الشعر العربى ، فلما خلا مكانُه تلفّت الناس ينظرون على حذرٍ وخشية يريدون أن يسمعوا نغماً صافياً كهذا الذي عوّدهم البارودي أن

يسمعوه من إنشاده وتطريبه ، وما منهم إلا مَن ظن أن الشعر بعده منتكِسٌ بملته ، وأن الرجل الذى كان يمده بأسباب الحياة والقوة قد ذهب فلا سبيل إليه بعدُ ولا أمل . فى هذه الفترة ظهر شوقى ......

على أن ذلك ليس هو كل السبب فى ذهاب صيت شوقى وامتدادِ شهرته التى تأمَّر بها على شعراء الجيل وحلَّ فى الصدر من ناديهم ، فقد آنتدَبَ والشرق على أبواب نهضةٍ قد تهيأت له أسبابها واكتملتْ وسائلها ، وإن آمالا قوية لتجيش فى نفوس أهله وتصطرع فى خواطرهم ، فإنهم ليحسون أثرها فيما تنفعل به عواطفهم ولا يحسنون لها تعبيراً ولا بياناً ؛ فاختار شوقى أن يكون لسانَ هذه الأمة فيما تحب وتكره ، وفيما تأمل وتحذر ، وفيما تنفعل به عواطفها من ذكريات وحوادث ؛ وكان لسانَ صدق فى التعبير عن كل أولئك فى بيان ساحر ولفظ رصين ؛ فلم تلبث الأمة العربية أن رأت فيه شاعرَها فألقت إليه مقاليد الإمارة وبايعتْه عن رضا .

وقد ذهب شوقى إلى ربه منذ أكثر من عشر سنين ومازال صدى ألحانه يتردد عذباً مطرباً ، ومازال مكانُه من ديوان العربية خالياً لم يتأهَّل بعدُ شاعرٌ من شعراء الجيل أن يقتعد ذروته

بلى ، فى مصر وفى سائر بلاد العربية شعراءُ ، وإن منهم لَمَنْ بلغ فى فنه مالم يبلغ شوقى ، ولكنهم فيما اختاروا لأنفسهم من مذاهب الشعر لم يبلغ واحدٌ منهم أن يكون من الأمة ماكان لها شوقى : لسانَها المعبِّرعن كل

ما يُلِمّ بها من الأحداث وما يهمس فى ضميرها من الأمانى ...

أمِن عجزٍ أم من قوة كان شوقى شاعر الأمة وكان هؤلاء شعراءَ أنفسِهم ؟ سؤال لست أجد اليوم جوابه ، وإن العربية اليوم لتدخل فى تاريخ جديد ، فلعل هذا التاريخ أن يجيب فى غدٍ عن هذا التساؤل حين يرسم للشاعر مهمته ويحدد مكانَه من نفسه ومن أمته ؛ وأيًّا مّا كان الجواب فلن يضيع حق هذا الشاعر الذى خطّ هذه الصفحات الأولى من التاريخ لحفظ للشعر العربى شبابه وخَطا به خُطاه إلى القوة والمجد والخلود !

* * *

وبعد فهذا هو الجزء الرابع من الشوقيات ، دفعه إلىّ مَن دفعه قُصاصاتٍ من صحف وجُزازاتٍ من ورق وبقيةً من مطبوعات أو مخطوطات أكلها البِلى ؛ لأنظر فى ترتيبها وتبويبها وإخراجها ديوانا ...

ومن التجوُّز أن نسمّى ذلك جزءاً ؛ فما هو إلا بقية أو شىء من البقية التى لم تُنشر فى الأجزاء الثلاثة الأولى من الديوان ؛ فليس يجمعها باب ولا تضمها وَحدة ولا تميِّزها خَصيصة من خصائص شعر شوقى ؛ وإن منها لآخِرَ ما قال وأوائل ما نظم من شعر الصِّبا ؛ ولقد تكون هذه وحدها خصيصةً لهذه المجموعة من شعر شوقى ؛ فإن الباحث ليجد فيها مادة تعينه على الموازنة بين ما كان هذا الشاعر فى أُولاه وما صار فى آخرته ؛ وإنها بذلك لحقيقة أن تعينه على باب من القول لعل أسبابه لا تتهيأ له من غير أن ينظر فى هذا الجزء من ديوانه !

على أن ذلك الجزء ليس هو كل ما بقى من شعر شوقى بعد الأجزاء الثلاثة الأولى ، ولكنه كل ما دُفع إلىَّ بما تهيأ لجامعه أن يجمعه ، وأرى شيئا ما قد فاته ، أو هو قد أغفل نشرَه استجابةً لبعض الدواعى العامة أو الخاصة ، أو لعل الشاعر — رحمه الله — كان له رأى فى إغفال شىءٍ من نظمه لجِدَّةِ أسباب أو زوالِ أسباب ؛ ومهما يكن من شىء فهذه حقيقة ينبغى أن أذكرها لعل سائلاً يسأل من بعدُ أو لعل مدعيا أن يدعى . . .

وقد رتبت هذا الجزء على ستة أبواب :

الباب الأول منها « متفرقات فى السياسة والتاريخ والاجتماع » ، وهى ثمانمائة بيت فى إحدى وثلاثين قطعة ؛ وإن منها آخرَ ماأنشأ [1] ، وإن منها القديم الذى تطاولت عليه السنون وتراكمت الحوادث حتى ليوشك أن ينساه التاريخ ! [2]

والباب الثانى « الخصوصيات » ، وهو ستة وخمسون ومائة بيت فى عشرين قطعة ، أكثرها فى الحديث عن نفسه ، وولده ، وبعض خاصته ؛ وإنه فيما تحدث عن ولده من هذا الباب ليهيئ للباحث النفسى أن يقول قولا فى الشاعر الأب ، وفى أبوّة الشاعر !

والباب الثالث « الحكايات » ، وهو تسعة وسبعمائة بيت فى خمس وخمسين قطعة ، أكثرها مما نشره من قبل فى طبعة « الشوقيات » الأولى ؛

---

(١) انظر ص ١٦ « فتية الوادى عرفنا صوتكم » يخاطب بها الشباب الذين نهضوا بمشروع القرش فى سنة ١٩٣٢ ، وكانت تلاوتها يوم وفاته !

(٢) انظر ص ١٩ و ٢٤ « معالى العهد » و « رسالة الناشئة »

ولغة الشاعر فى هذا الباب غير لغته فى سائر شعره ، وإنه لبابٌ يُسمح فيه للشاعر أن يترخّص؛ وأحسبه فى بعض ماقص من الحكايات فى هذا الباب كان يرمز لبعض مامرّ به من كيد الناس فى حياته ويعرِّض... [1]

والباب الرابع « ديوان الأطفال » ، وهو ثلاثة وعشرون ومائة بيت فى عشر قطع ، وأكثره من الأناشيد العامة التى نظمها لمناسباتها، ثم أرادها لتكون مما ينشده الناشئة .

والخامس « من شعر الصبا » وهو تسعة وتسعون بيتاً فى ثمانى قطع من أوّليات شعره ، وقد ألحقنا بهذا الباب قطعتين كان حقهما أن يتقدم بهما المكانُ إلى الباب الأول ، ولكنهما لم تقعا لنا إلا وقد أشرف طبع الديوان على التمام ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضعهما من هذا الباب [2]

أما الباب السادس « محجوبيات » ، فهو باب طريف يشير إلى ما كان من ود بين الشاعر وصديقه الدكتور محجوب ثابت ، وعِدّته ثلاثة وستون بيتاً فى أربع قطع ؛ ولا أحسب ذلك كلّ ما كان من « محجوبيات » شوقى ، ولكنه كلُّ ماأُلقىَ إلىّ ...

* * *

فهذا هو الجزء الرابع من « الشوقيات » كما هو بين يدى قارئه ، ولعلى كنت مسئولا وقد حملت تبعة نشره أن أشرح أو أعلّق على بعض ماقد يحتاج

---

(١) انظر ص ٩٥ « نديم الباذنجان » ، و ص ١٣٧ « الثعلب والأرنب فى السفينة وغيرهما » .

(٢) انظر ص ١٨٥ و ص ١٨٨ .

إلى التعليق والشرح من أبياته ، ولكنى آثرت والكتابُ فى طبعته الأولى أن أجعله خالصاً لشعر شاعرِه ، وألا أستأثرَ بالتوجيه فى الشرح كما يقول صديقى الأستاذ محمود أبو الوفا فى كلمته بالجزء الثالث من الديوان !

على أن بعض كلمات قد اقتضانى موضوعُها أن أُجلِّيها ببعض الشرح ، فاكتفيت من ذلك بالنزْر فى بعض الصفحات ، مكتفياً بما أثبت فى رأس كل قصيدة من ذكر السبب والحادثة وبعض التاريخ إن دعا إلى ذلك موضوعها .

وإنى لأرجو بذلك أن أكون قد أديت واجبي على وجه يُعذِرنى عند الناقد من بعض ماقد يراه فى هذا الجزء من هَنات ؛ وما أُبرِّئ نفسى !؟

محمد سعيد العريان

مُتفرِّقات

في السياسة والتاريخ والاجتماع

الجامعة المصرية

« أنشأها فى حفلة افتتاح منشآت الجامعة المصرية سنة ١٩٣١ »

تاجَ البلادِ ، تحيةٌ وسلامُ ردّتك مِصْرُ وصحَّت الأحلامُ

العلمُ والمُلْكُ الرفيعُ كلاهما لك يا « فؤادُ » جلالةٌ ومقامُ

فكأنك المأمون فى سُلطانِه: فى ظِلك الأعلامُ والأقلامُ (١)

أهدَى إليك الغربُ من ألقابِه فى العلمِ ما تسمو له الأعلامُ

من كلِّ مملكةٍ وكلِّ جماعةٍ يسعى لك التقديرُ والإعظامُ

✡ ✡ ✡

ما هذه الغُرَفُ الزواهرُ كالضُّحا الشامخاتُ كأنها الأعلامُ

من كل مرفوعِ العمودِ مُنَوَّرٍ كالصبحِ مُنصدِعٍ به الإظلامُ

تتحطم الأُمِّيَّةُ الكبرى على عَرَصاتِه وتَمَزَّقُ الأوهامُ

هذا البناءُ الفاطِمِىُّ مَنارةٌ وقواعدٌ لحضارةٍ ودِعامُ

مهدٌ تهيَّأَ للوليدِ وأيكةٌ سيَرِنُّ فيها بُلْبُلٌ وحَمامُ

شُرُفاتُه نورُ السبيلِ ، ورُكْنُه للعبقريةِ مَنزِلٌ ومُقامُ

---

(١) المأمون بن الرشيد العباسى ، وعصره من أزهى عصور الدولة الاسلامية

وملاعبٌ تجرى الحظوظُ مع الصِّبَا في ظِلِّهِنَّ وتُوهَبُ الأقسامُ[1]
يمشي بها الفِتْيانُ ، هذا ما له نفْسٌ تُسَوِّدُهُ وذاك عِصَامُ[2]
ألقى أواسِيَهُ وطال بِرُكْنِهِ نفرٌ من الصِّيدِ الملوكِ كرامُ[3]
من آلِ إسماعيلَ لا العمَّاتُ قد قَصَّرن عن كرمٍ ولا الأعمامُ
لم يُعْطَ هِمَّتَهم ولا إحسانَهم بانٍ على وَادى الملوك هُمامُ
وبنَى فؤادٌ حائطَيْهِ يُعِينُهُ شعبٌ عن الغاياتِ ليس يَنامُ

✡ ✡ ✡

أُنظر أبا الفاروقِ غرسَك هل دَنَتْ ثمراتُهُ وبدتْ له أعلامُ
وهل انثنى الوادى وفى فمه الْجَنَى وأتى العراقُ مُشاطراً والشامُ
فى كل عاصمةٍ وكلِّ مدينةٍ شُبانُ مِصْرَ على المناهلِ حامُوا
كم نستعيرُ الآخَرِين ونَجْتَدِى هيهات ما للعارياتِ دَوَامُ
اليومَ يَرْعَى فى خمائلِ أرضِهم نَشأٌ إلى داعى الرَّحيلِ قِيَامُ
حَبٌّ غَرَسْتَ بِرَاحَتَيْكَ ولم يَزَلْ يَسقيه من كِلتا يديك غَمَامُ
حتى أنافَ على قوائمِ سُوقِهِ ثمراً تَنُوءُ وراءه الأكمامُ
فقريبُهُ للحاضرِينَ وَليمةٌ وبَعيدُه للغابرين طَعامُ

---

(١) الأقسام : الحظوظ
(٢) يشير إلى قول النابغة :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وعصام : حاجب النعمان بن المنذر ، وإليه ينسب : عصامى .
(٣) الأواسى : الدعائم والأبنية المحكمة

عِظةٌ لفاروقٍ وصالحِ جيلِه ... فيما يُنيلُ الصبرُ والإقدامُ

ونموذجٌ تحذو عليه ولم يزلْ ... بسَرَاتِهِمْ يتشبَّهُ الأقوامُ

شَيَّدتَ صرحًا للذخائرِ عاليا ... يأوِى الجَمَالُ إليه والإلهامُ

رفَّتْ عيونُ الكُتْبِ فيه طوائفٌ ... وجلائلُ الأسفارِ فيه رُكامُ

إسكندريّةُ ، عاد كنزُكِ سالمًا ... حتى كأنْ لم يلتهمْه ضِرامُ (١)

لمَتْهُ من لهبِ الحريقِ أناملٌ ... بَرْدٌ على ما لامَسَتْ وسَلامُ

وأَسَتْ جِراحَتَكِ القديمةَ راحةٌ ... جُرْحُ الزمانِ بعُرْفِها يلتامُ

تهَبُ الطريفَ من الفخارِ وربما ... بَعَثَتْ تليدَ المجدِ وهْوَ رِمَامُ

❊ ❊ ❊

أرأيتَ رُكْنَ العلمِ كيف يُقامُ ... أرأيتَ الاستقلالَ كيف يُرامُ

العلمُ فى سُبلِ الحضارةِ والعُلا ... حادٍ لكلِّ جماعةٍ ، وزِمامُ

بانى الممالكِ حين تُنْشَدُ بانيًا ... ومَثابةُ الأوطانِ حين تُضامُ

قامت رُبوعُ العلمِ فى الوادى فهل ... للعبقريةِ والنبوغِ قِيامُ

فهما الحياةُ ، وكل دُورِ ثقافةٍ ... أو دُورِ تعليمٍ هى الأجسامُ

ما العلمُ ما لم يَصْنَعاه حقيقةٌ ... للطالبينَ ، ولا البيانُ كلامُ

يا مهْرَجانَ العلمِ حولك فَرْحةٌ ... وعليك من آمالِ مِصرَ زِحامُ

ما أشبهتْكَ مواسمُ الوادى ولا ... أعيادُه فى الدهرِ وهْى عِظامُ ...

---

(١) يشير إلى حديث التاريخ عن حريق مكتبة الاسكندرية

...إلا نهــاراً فى بشاشة صُبحِه   قَعــد البُنــاةُ وقامت الأهرامُ

وأطال «خُوفو» من مواكبِ عِزِّه   فاهــتزَّت الرَّبَوَاتُ والآكامُ

يُومِى بتاجٍ فى الحضارة مُعْرِقٍ   تَعْنُو الجِبَــاهُ لعِزِّهِ والهــامُ

تاجٌ تَنَقَّـلَ فى العُصورِ مُعَظَّماً   وتألفتْ دُوَلٌ عليه جِسَامُ

لمــا اضطلعتَ به مَشَى فيه الهدى   ومراشــدُ الدستورِ والإسلامُ

سبقت مواكِبُك الربيعَ وحُسْنَه   فالنيـلُ زَهْوٌ والضفاف وسامُ

الجيزةُ الفيحاءُ هزت مَنْكِباً   سبغ النوالُ عليــه والإنعامُ

لبست زخارفَها ومَسَّتْ طِيبَها   وترَدَّدتْ فى أيكها الأنغامُ

قــد زدتَها هَرَماً يُحَجُّ فِناؤه   ويُشَــدُّ للدنيا إليه حِزَامُ

تقفُ القرونُ غداً على درجاتِه   تُمْـلِى الثناءَ وتكتُبُ الأيامُ

أعوامُ جهدٍ فى الشبابِ وراءها   من جهد خيرٍ كهولةٍ أعوامُ

بلغَ البنــاءُ على يديك تمامُه   ولكلِّ ما تَبْنِى يداك تمــامُ

بَنْكُ مِصْر

« تليت فى مجلس الاحتفال بوضع الحجر الأول
فى أساس « بنك مصر » فى مايو سنة ١٩٢٥ »

نُراوِحُ بالحوادثِ أو نُغادى ... ونُنكِرُها ونُعطيها القِيادا
ونَحْمَدُها وما رَعَتِ الضَّحايا ... ولا جَزَتِ المواقفَ والجِهادا
لَحَاها اللهُ ؛ باعتْنا خَيالًا ... من الأحلامِ واشترتِ اتّحادا
مَشَيْنا أمسِ نلقاها جَميعاً ... ونحنُ اليومَ نلقاها فُرادَى (١)
أَضَلَّتْنا عن الإصلاح حتى ... عَجَزْنا أن نُناقشَها الفَسادا
تلاقينا فلا نَجِدُ الصَّياصِى ... ونَلقاها فلا نجدُ العَتادا (٢)
ومن لقِيَ السِّباعَ بغيرِ ظُفْرٍ ... ولا نابٍ تَمزّقَ أو تَفادَى
خَفَضْنا من عُلُوِّ الحقِّ حتى ... تَوَهَّمْنا السيادةَ أن نُسادا
ولمّا لم نَنَلْ للسيفِ رَدًّا ... تنازعْنا الحمائلَ والنِّجادا
وأقبلْنا على أقوالِ زُورٍ ... تَجيءُ الغَيَّ تَقْلِبُهُ رشادا
ولو عُدنا إليها بعدَ قَرْنٍ ... رَجَمْنا الطِّرْسَ منها والمِدادا
وكم سِحرٍ سَمِعْنا منذُ حينٍ ... تضاءلَ بين أعيُننا ونادَى

---

(١) يشير إلى ما كان من حدة الخلاف بين زعماء مصر فى ذلك التاريخ

(٢) الصياصي : الحصون ؛ والعتاد : عدة الحرب

هنيئاً للعدوّ بكلّ أرضٍ إذا هو حلّ فى بَلَدٍ تَعَادَى

وبُعداً للسيادةِ والمعالى إذا قَطَعَا القرابةَ والوِدادا

ورُبَّ حقيقةٍ لا بُدَّ منها خدعْنا النَّشْءَ عنها والسَّوَادا

ولو طلعوا عليها عالَجوها بهمةِ أنفُسٍ عَظُمتْ مُرَادا

تُعِدُّ لحادثِ الأيام صبرا وآونةً تُعِدُّ له عِنادا

وتخلِف بالنُّهَى البِيضَ المواضى وبالخُلُق المثقَّفَةَ الصِّعادا

لحنْا الحظّ ناحيةً فلما بلغناها أحسَّ بنا فحادا

وليس الحظُّ إلا عَبْقَرِيًّا يُحبُّ الأَرْيَحِيَّةَ والسَّدادا

ونحن بنو زمانٍ حُوَّلِىٍّ تَنَقَّلَ تاجراً ومَشَى ورَادا

إذا قعد العِبادُ له بِسوقٍ شَرى فى السوق أو باع العِبادا

وتُعجِبُه العواطفُ فى كتابٍ وفى دمع المشَخِّصِ ما أجادا

* * *

يُوَمِّنُنا على الدُّستورِ أنَّا نَرى من خَلفِ حَوْزَتِهِ فُؤادا

أبو الفاروقِ نرجوه لفضلٍ ولا نخشى لِمَا وَهَبَ ارْتِدادا

ملأْنا باسمِه الأفواهَ فخراً ولقَّبناه بالأمسِ (المكادَا)[1]

نُناجِيه فنَسترعِى حكيمًا ونسألُه فنَستَجدِى جَوَادا

ولم يَزَلِ المحبَّبَ والمفدَّى ومرهَمَ كُلِّ جُرحٍ والضِّمادا

---

(١) الميكادو: الملك فى لغة اليابان

٭ ٭ ٭

تدفّقَ مَصْرِفُ الوادى فَرَوَّى ... وصابَ غَمَامُهُ فسقَى وجَادا

دعا فتنافَسَتْ فيه نُفُوسٌ ... بمصرَ لكلِّ صالحةٍ تُنَادَى

تُقَدِّم عَوْنَها ثِقةً ومالًا ... وأحياناً تُقَدِّمُهُ آجتهادا

وأقبلَ مِن شبابِ القومِ جمعٌ ... كما بَلتِ الكهولُ بَنَى وشادا

كأن جوانبَ الدارِ الخلايا ... وهم كالنَّحلِ فى الدارِ آحْتِشادا

فيادارًا من الهِمَمِ العوالى ... سُقِيتِ التبرَ ، لا أرضَى العِهادا[1]

تأنَّى حين أَسَّسَكِ ابنُ حَرْبٍ ... وحين بَنَى دعائمَكِ الشِّدادا

ولا تُرْجَى المتانةُ فى بنـاءٍ ... إذا البَنَّاءُ لم يُعْطَ آتِّئـادا

بَنَى الدارَ التى كنا نَرَاها ... أمانىَّ الخيـالِ أو رُقَادا

ولم يَبعُـد على نَفْسٍ مَرَامٌ ... إذا رَكِبَتْ له الهِمَمَ البِعادا

ولم أرَ بعـدَ قُدرتِهِ تعالى ... كمقـدِرَةِ ابنِ آدمَ إن أرادا

جَرَى والناسُ فى رَيْبٍ وشكٍّ ... يَرومُ السَّبْقَ فاغترقَ الجِيـادا

وعُودِىَ دُونَهـا حتى بَنَاها ... ومن شأنِ المجدِّدِ أن يُعادَى

يَهُونُ الكيدُ مِن أعدَى عَدُوٍّ ... عليكَ إذا الولىُّ سَعَى وكادَا

فجاءت كالنَّهارِ إذا تجـلَّى ... عُلُوًّا فى المشـارقِ وانطِيادا[2]

---

(١) العهاد : المطر

(٢) الانطياد : الارتفاع

نَصونُ كرائمَ الأموالِ فيها ونُنزِلُها الخزائنَ والنِّضادا
ونُخرجُها فتَكسِبُ ثم تأوِى رُجوعَ النَّحْلِ قد حُمِّلْنَ زادا
ولم أرَ مثلَهـا أرضاً أغلَّتْ وما سُقِيَتْ ولا طَعِمَتْ سمادا
ولا مُسْتَوْدَعاً مالاً لقوم إذا رجعوا له أدَّى وزادا
ومِن عجبٍ نُثبِّتُها أُصولا وتِلك فُروعُها تَغْشَى البلادا
كأنَّ القَطْرَ من شوقٍ إليها سَمَا قبلَ الأساسِ بها عِمادا
ولو مَلَكتْ كنوزَ الأرضِ كَفِّي جَعَلْتُ أساسَها ماساً ورادا
ولو أن النجوم عَنتْ لحُكمى فرشتُ النيِّراتِ لها مِهادا

دَارُ بَنْكِ مِصْر

« نظمها لتنشد فى حفلة افتتاح الدار
الجديدة لبنك مصر فى يونيو سنة ١٩٢٧ »

نَبَذَ الهوى وصَحَا من الأحلامِ ... شَرْقٌ تَنَبَّهَ بعدَ طُولِ مَنَامِ

ثابَتْ سلامتُه وأقبلَ صَحْوُهُ ... إلّا بقَايَا فترةٍ وسقامِ

صاحتْ به الآجامُ : هُبّْتُ أفلمْ يَنَمْ ، ... أعَلَى الهوانِ يُنَامُ فى الآجامِ ؟

أُمَمٌ وراءَ الكهفِ جهدُ حياتِهم ... حركاتُ عيشٍ فى سُكونِ حِمَامِ

نَفَضُوا العيُونَ من الكَرى واستأنفُوا ... سَفَرَ الحياةِ ورِحلةَ الأيامِ

مَن ليس فى رَكْبِ الزّمانِ مُغَبِّرًا ... فأعُدُّه بين غوابرِ الأقوامِ

فى كلِّ حاضِرةٍ وكلِّ قبيلةٍ ... هِمَمٌ ذَهَبْنَ يَرُمْنَ كلَّ مَرَامِ

مِن كل مُمتنِعٍ على أرسانِهِ ... أو جامحٍ يَعْدُو بِنِصْفِ لِجَامِ

* * *

يا مِصرُ أنتِ كِنانةُ اللهِ التى ... لا تُستباحُ ، وللكِنانةِ حَامِ

اِسْتَقْبِلِي الآمالَ فى غاياتِها ... وتأمَّلِي الدُّنيا بِطَرْفٍ سامِ

وخُذِى طَرِيفَ المجدِ بعدَ تَليدِهِ ... من راحتَىْ مَلِكٍ أغرَّ هُمَامِ

يُعْنَى بِسُؤْدَدِ قومِهِ وحُقُوقِهِم ... ويَذُودُ دُونَ حِيَاضِهِم ويُحَامِي

ما تاجُكِ العالى ولا تُوّابُهُ بالحانثين إليكِ فى الأقسامِ
جَرَّبتِ نُعمى الحادثاتِ وبُؤسَها أعَلِمتِ حالا آذَنَتْ بِدَوامِ؟

* * *

عَبَستْ إلينا الحادثاتُ وطالما نزلَتْ فلم تُغلَبْ على الأحلامِ
وثبتْ بقوم يضمِدُون جِراحَهم ويُرَقِّدُون بَوازِىَ الآلامِ
الحقُّ كلُّ سلاحِهم وكفاحِهم والحقُّ نِعْمَ مُثَبِّتُ الأقدامِ

* * *

يَبْنُون حائطَ مُلكِهِم فى هُدنة وعلى عواقبِ شِحْنَةٍ وخِصامِ
قلْ للحوادث أقدِمى أو أحجِمى إنّا بَنُو الأقدامِ والأحجامِ
نحنُ النِّيامُ إذا الليالى سالَمتْ فإذا وَثَبْنَ فنحنُ غيرُ نيامِ
فينا من الصَّبرِ الجميلِ بقيّةٌ لحوادثٍ خَلْفَ الغُيوبِ جِسامِ

* * *

أينَ الوُفودُ المُلتَقُونَ على القِرَى المُنزَلونَ مَنازلَ الأكرامِ (١)
الوارثون القُدْسَ عن أحبارِه والخالِفُونَ أُمَيَّةً فى الشَّامِ
الحامِلُو الفُصحَى ونورِ بيانِها يَبْنُون فيه حضارةَ الأسلامِ
ويُؤلِّفون الشرقَ فى بُرهانِها لَمَّ الضياءِ حَوَاشِىَ الأظلامِ
تاقُوا إلى أوطانِهم فتحمَّلُوا وهَوَى الديارِ وراءَ كلِّ غَرَامِ

---

(١) يعني وفود البلادالعربية التي اجتمعت لتكريمه ومبايعته بامارة الشعر فى مارس من تلك السنة نفسها

ما ضرَّ لو حَبَسُوا الرَّكائبَ ساعةً ... وثَنَوْا إلى الفُسْطَاطِ فَضْلَ زِمامِ

لِيُضيفَ شَاهدُهُمْ إلى أيامِهِ ... يوماً أغرَّ مُلَمَّحَ الأَعْلامِ

ويَرَى ويَسْمَعَ كيف عادَ حقيقةً ... ما كان مُمتنِعاً على الأَوهامِ...

... مِن هِمَّةِ المحكومِ وهْو مكبَّلٌ ... بالقيدِ ، لا مِن هِمَّةِ الحُكَّامِ

✡ ✡ ✡

مِصرُ التقتْ فى مهْرَجانِ مُحَمَّدٍ ... وتَجَمَّعَتْ لتحيةٍ وسلامِ[1]

هَزَّتْ مناكبَها له فكأَنه ... عُرْسُ البيانِ ومَوْكِبُ الأقلامِ

وكأَنه فى الفتحِ عَمُّوريَّةٌ ... وكأَننى فيه أبو تمَّامِ[2]

أَسِمُ العصورَ بحُسْنِهِ وأنا الذى ... يروى فيلتظمُ العُصورَ كلامى

✡ ✡ ✡

شَرَفاً محمدُ، هكذا تُبْنَى العُلا : ... بالصبرِ آونةً وبالأَقدامِ

هممُ الرجالِ إذا مضتْ لم يَثْنِها ... خدَعُ الثناءِ ولا عَوادى الذَّامِ

وتمامُ فضلِكَ أن يَعيبَكَ حُسَّدٌ ... يجِدون نَقْصاً عند كلِّ تمامِ

✡ ✡ ✡

المالُ فى الدنيا منازلُ نُقْلَةٍ ... من أين جئتَ له بدارِ مُقامِ!

فرفعتَ إيواناً كرُكْنِ النَّجم لم ... يُضْرَبْ على كِسْرَى ولا بَهْرَامِ

صَيَّرْتَ طِينتَه الخلودَ وجئتَ من ... وادى الملوك بجندلٍ ورَغامِ

---

(١) هو المرحوم محمد طلعت حرب باشا

(٢) قصيدة أبى تمام فى فتح عمورية ذائعة مشهورة

هـــذا البناءُ العبقرىُّ أتى به ... بيتٌ له فضـــل وحقُّ ذِمامِ

كانت به الأرقام تُدرِكُ حِسْبةً ... واليوم جاوَز حِسْـــبةَ الأرقامِ

يا طالما شغف الظنون وطالما ... كثر الرجاءُ عليـــه فى الأحلامِ

ما زلتَ أنتَ وصاحباك بِرُكْنِهِ ... حتى اســـتقام على أعزِّ دِعامِ

أسستُمُو بالحاسـدين جِـــداره ... وبنيتُمُو بمعاوِلِ الهـــدّامِ

شرِكاتُك الدنيا العريضةُ لم تُنَلْ ... إلا بطولِ رِعايةٍ وقيـــامِ

اللّهُ سخَّـــرَ للكِنانةِ خازناً ... أخذَ الأمانَ لهـا من الأعوامِ

وكأن عهدَك عَهْدُ يوسفَ: كلُّهُ ... ظِلٌّ وسُنْبُلَةٌ وقَطْـــرُ غَمامِ

وكأن مالَ المودِعين وزرْعَهم ... فى راحتَيْـــكَ ودائعُ الأيتامِ

ما زلتَ تبنى رُكنَ كلِّ عظيمةٍ ... حتى أتيتَ برابعِ الأهـــرامِ

إسكندرية آنَ أنْ تتجدَّدي

« نظمها لحفلة افتتاح دار جديدة لبنك مصر
في الاسكندرية ، في يونيو سنة ١٩٢٩ »

أمسِ انقضَى واليوم مِرْقاةُ الغَدِ ... إسكندريةُ آنَ أنْ تتجدَّدِي

يا غُرَّةَ الوادِي وسُدَّةَ بابِه ... رُدِّي مكانَكِ في البَريَّةِ يُرْدَدِ

فيضي كأمسِ على العُلوم من النُّهَى ... وعلى الفنُونِ من الجمالِ السَّرْمَدِي

وسِمِي النَّبالةَ بالمَلاحِم تَتَّسِمْ ... وسِمِي الصَّبابةَ بالعَواطِفِ تَخْلُدِ

وضَعِي رواياتِ الخلاعةِ والهَوَى ... لممثلين من العُصورِ وشُهَّدِ

لا تجعلي حُبَّ القديم وذِكرَه ... حسراتِ مِضياعٍ ودَفْعَ مُبَدِّدِ

إن القديمَ ذخيرةٌ من صالحٍ ... تَبْنِي المقصِّرَ أو تحُثُّ المُقتَدِي

* * *

لا تَفْتِنَنْكِ حضارةٌ مجلوبةٌ ... لم يُبْنَ حائطُها بمالِكِ واليَدِ

لو مَالَ عنكِ شِراعُها وبُخارُها ... لم يبقَ غيرُ الصَّيْدِ والمتَصيِّدِ

وُجِدَتْ وكان لغيرِ أهلِكِ أرضُها ... وسماؤها ، وكأنها لم تُوجَدِ

جاري النزيلَ وسابِقِيه إلى الغِنَى ... وإلى الحِجا وإلى العُلا والسُّؤْدَدِ

وابْنِي كما يبنِي المعَاهدَ ، واشرَعِي ... لشبابِكِ العِرفانَ عَذْبَ المَوْرِدِ

إنى حَذِرتُ عليـــكِ من أُمّيَّةٍ ربضتْ كجُنْحِ الغَيْهَبِ المُتَلَبِّدِ
أَخِزَانَةَ الوادِى عليـكِ تحيَّةٌ وعلى النَّدِىِّ وكلِّ أبلَجَ فى النَّدِى
ما أنتِ إلا من خزائِنِ يُوسفٍ بالقصدِ موحيةٌ لمن لم يَقْصِدِ
قُلِّدْتِ من مالِ البـــلادِ أمانةً يا طالمـــا افتقَرتْ إلى المتَقلِّدِ
وبلغتِ من إيمانِها ورجائِها ما يبلغُ المحرابُ من متعبِّدِ
فلوَ آنَّ أستارَ الجلالِ سَعَتْ إلى غيرِ العتيقِ لَبِسْتِ مما يُرْتَدَى

* * *

إنَّا نُعَظِّمُ فيـــكَ ألويَةً على جَنَبَاتِها حَشْدٌ يَرُوحُ ويَغْتَدِى
وإذا طَعِمْتَ من الخَلِيَّةِ شَهْدَهَا فاشْهَدْ لقـــائدِها وللمُتَجَنِّدِ
لا تمنحِ المحبوبَ شُكرَكَ كُلَّهُ واقرِنْ به شُكرَ الأجيرِ المُجْهَدِ
إسكندريَّةُ شُرِّفَتْ بعِصابةٍ بِيضِ الأسِرَّةِ والصحيفةِ واليدِ
خدموا حِمَى الوطنِ العزيزِ فبُورِكوا! خَدَماً وبُورِكَ فى الحمى مِن سَيِّدِ
ما بالُ ذاكَ الكوخِ صَرَّحَ وانْجَلَى عن حائِطَىْ صَرْحٍ أشمَّ ممَرَّدِ
مِن كِسْرِ بَيْتٍ أو جِدَارِ سَقيفةٍ رَفَعَ الثباتُ بنايةً كالفَرْقَدِ
فإذا طلَعتَ على جلالةِ رُكنِها قلْ تِلكَ إحدَى مُعجزاتِ (محمدٍ)(1)

---

(1) محمد طلعت حرب

فِتْيَـةَ الْوَادِى عَرَفْنَا صَوْتَـكُمْ

« يخاطب الشاعر بهذه القصيدة شباب مصر الذين نهضوا بمشروع القرش فى سنة ١٩٣٢ : وهى آخر ماجادت به شاعريته ، وكانت تلاوتها يوم وفاته ! »

لا يُقِيمَنَّ على الضيْمِ الأسَدْ ... نَزَعَ الشِّبلُ من الغابِ الوتدْ

كَبِرَ الشِّبلُ وشبَّتْ نابُهُ ... وتغطَّى مَنْكِباه باللِّبَدْ

اُترُكوه يَمشِ فى آجامِهِ ... ودَعُوه عن حِمَى الغابِ يَذُدْ

واعرضوا الدنيا على أظفارِهِ ... وابعثوه فى صحاراها يَصِدْ

* * *

فِتْيَةَ الوادِى عَرَفْنا صَوْتَكم ... مَرْحَباً بالطائرِ الشادِى الغَرِدْ

هو صوتُ الحقِّ لم يَبْغِ ولم ... يحمِلِ الحقدَ ولم يُخْفِ الحَسَدْ

وخلا من شهوةٍ ماخالطت ... صالحاً من عملٍ إلا فسَدْ

حرَّكَ البلبلُ عِطفَىْ رَبْوَةٍ ... كان فيها البُومُ بالأيكِ انفَرَدْ

زَنْبَقُ المُدْنِ ورَيْحانُ القُرَى ... قامَ فى كلِّ طريقٍ وقَعَدْ

باكِراً كالنَّحلِ فى أسرابها ... كلُّ سِربٍ قد تلاقى واحتشدْ

قد جَنى ماقلَّ من زَهْرِ الرُّبا ... ثم أعطى بدَلَ الزهرِ الشُّهُدْ

بَسَط الكفَّ لمن صادقَه ومضى يَقْصُرُ خَطْواً ويَمُدّ
يجعلُ الأوطانَ أُغنيَّتَه وينادِي الناسَ : مَنْ جادَ وَجَدْ !
كُلّما مرَّ بباب دقَّه أو رأى داراً على الدَّرب قصَدْ
غادياً فى المُدْن أو نحو القرى رائحاً يسألُ قِرشاً للبلدْ
أيها الناس اسمعوا ، أصْغُوا له، أخرِجوا المال إلى البرِّ يَعُدْ
لا تَرُدُّوا يدَهم فارغة طالبُ العَوْن لمصرٍ لا يُرَدّ

✿ ✿ ✿

سَيَرَى الناسُ عجيباً فى غد يغرِسُ القرشُ ويَبْنِي ويَلِدْ
يُنْهِض اللهُ الصناعاتِ به من عِثار لبثَتْ فيه الأبدْ
أو يزيد البرَّ داراً قعدتْ لكفاح السِّلِّ أو حربِ الرَّمَدْ
وهو فى الأيدى وفى قدرتها لم يَضِقْ عنه ولم يَعْجِزْ أحدْ

✿ ✿ ✿

تلك مصرُ الغدِ تبنى مُلْكَها نادتِ البانى وجاءتْ بالعُدَدْ
وعلى المالِ بَنَتْ سُلْطانَها ثابتَ الآساسِ مرفوعَ العَمَدْ
وأصارتْ بنكَ مصرٍ كهفَها حبذا الركنُ وأعظِمْ بالسَّنَدْ
مَثَلٌ مِن همةٍ قد بَعُدَتْ ومداها فى المعالى قد بَعُدْ
ردَّها العصرُ إلى أسلوبِهِ كُل عصرٍ بأساليبَ جُدُدْ

✿ ✿ ✿

البنونَ استنهضوا آباءهم ... ودعا الشبلُ من الوادى الأسدْ
أصبحت مصرُ وأضحى مجدُها ... همةَ الوالدِ أو شُغلَ الوَلدْ
هذه الهمةُ بالأمس جرَتْ ... تخوَتْ فى طلب الحقِّ الأمدْ

✡ ✡ ✡

أيها الجيلُ الذى نرجو لِغَدْ ... غَدُك العِزُّ ودُنياك الرَّغَدْ.
أنت فى مَدْرَجَةِ السَّيلِ، وقد ... ضلَّ مَن فى مَدْرَجِ السيلِ رَقَدْ
قُدْتَ فى الحقِّ فقُدْ فى مِثلهِ ... من نواحى القصدِ أو سُبْلِ الرَّشَدْ
رُبَّ عامٍ أنتَ فيه واجدٌ ... فادَّخِرْ فيه لعام لا تَجِدْ
عَلِّمِ الآباءَ واهتف قائلًا : ... أيها الشعبُ تعاوَنْ واقتَصِدْ
اِجمعِ القرشَ إلى القرشِ يكُنْ ... لك من جمعهما مالٌ لُبَدْ
اطلبِ القُطنَ وزَاوِلْ غيْرَه ... واتخِذْ سُوقاً إذا سُوقٌ كَسَدْ
نحن قبلَ القطن كُنَّا أمةً ... تهبِط الوادى وتَرْعَى وتَرِدْ
قد أخذنا فى الصناعاتِ المَدَى ... وبَنَيْنا فى الأَوَالِى ما خَلَدْ
وغزلنا قبلَ إدريسَ الكُسَا ... ونَسَجْنَا قبلَ دَاوُدَ الزَّرَدْ
إنْ تَكُ اليومَ لواءً قائداً ... كم لواءٍ لك بالأَمسِ انعقدْ!

مَعَالِى العَهْد

« نظمها فى ميلاد صاحب السمو الأمير محمد عبد المنعم »

مَعَالِى العهدِ قُمتَ بها نَظِيمَا ... وكانَ إليكَ مَرْجِعُها قَدِيمَا
تَنَقَّلْ مِنْ يَدٍ لِيَدٍ كريمًا ... كَرُوحِ اللهِ إذ خلفَ «الكَلِيمَا»[1]

* * *

تَنَحَّى لِآبْنِ مَرْيَمَ حِينَ جاءَ ... وخَلَّى النَّجْمُ لِلْقَمَرِ الفَضَاءَ
ضِياءٌ للعيونِ تَلا ضِياءَ ... يَفِيضُ مَيَامِناً وهُدًى عَمِيما

* * *

كذا أنتم بنى البيتِ الكريمِ ... وهل مُتَجَزِّئٌ ضَوْءُ النُّجومِ
وأينَ الشُّهْبُ مِن شَرَفٍ صَمِيمٍ ... تألَّقَ عِقْدُهُ بِكُمُو نظيما

* * *

أرى مُسْتَقْبَلاً يَبْدُو عُجَابا ... وعُنواناً يُكِنُّ لنا كِتابَا
وكان « محمدٌ » أملا شهابا ... وكان اليأسُ شيطاناً رجيما

* * *

وأشرقتِ (الْهَيَاكِلُ) والمبانى ... كما كانت وأزْيَنَ فى الزمانِ
وأصبحَ مَا تُكِنُّ من المعانى ... على الآفاق مسطوراً رَقيما

* * *

سألت فقيل لى وَضَعَتْهُ طِفلا ... وهذا عيدُهُ فى مِصْرَ يُجْلَى
فقلت كذلِكُمْ آنَسْتُ قَبْلا ... وكان اللهُ بالنجوى عليما

* * *

---

(١) روح الله : عيسى ؛ والكليم : موسى ، عليهما السلام

(بمُشْتَرَءِ) الإمارةِ هَلَّ فَجْرا ، هِلالا فى منازلِهِ أغَرّا
فباتت مِصرُ حوْلَ المَهْدِ (ثَغْرا) وباتَ الثَّغرُ للدنيا نديما

✡ ✡ ✡

لجِيلِكَ فى غَدٍ جِيلِ المعالى وشَعْبِ المَجْدِ والهِمَمِ العوالى...
... أزُفُّ نوابغَ الكَلِمِ الغَوالى وأُهْدى حكمتى الشَّعْبَ الحكيما

✡ ✡ ✡

إذا أقبلتَ يازمنَ البنينا وشَبُّوا فيك واجتازوا السنينا
فَدُرْ مِن بَعْدِنا لَهُمُو يَمينا وكُن لوُرودِكَ الماءَ الحَمِيما

✡ ✡ ✡

ويا جِيلَ الأمير إذا نَشَأْتَا وشاءَ الجَدُّ أن تُعطى وشِئْتا
فَخُذْ سُبُلا إلى العلياءِ شَتّى وخَلِّ دليلَكَ الدينَ القويما

✡ ✡ ✡

وضِنَّ به فإنَّ الخيرَ فيهِ وخُذْهُ مِنَ الكتابِ وما يَليهِ
ولا تأْخُذْهُ مِن شَفَتَىْ فقيهِ ولا تَهْجُرْ مع الدينِ العُلوما

✡ ✡ ✡

وثِقْ بالنَّفْسِ فى كلِّ الشُّئُونِ وكُن مما اعتقدتَ على يَقينِ
كأنك مِن ضميرِك عندَ دِينِ فمِن شَرفِ المبادئ أن تُقيما

✡ ✡ ✡

وإن تَرُمِ المظاهرَ فى الحياةِ فَرُمْها باجتهادِك والثباتِ
وخُذها بالمساعى باهراتِ تُنافِسُ فى جلالتِها النجوما

✡ ✡ ✡

وإن تَخْرُجْ بحربٍ أو سلامِ فأَقْدِمْ قبلَ إقدامِ الأنامِ
وكُن كالليث يأتى من أمامٍ فيملأُ كلَّ ناطقةٍ وُجوما

✡ ✡ ✡

وكُن شَعْبَ الخصائصِ والمزايا ولا تَكُ ضائناً بينَ البَرَايا
وكُن كالنحلِ والدُّنيا الخلايا يمرُّ بها ولا يَمضِى عَقيما

✡ ✡ ✡

ولا تَطمعْ إلى طلب المُحالِ ولا تقنعْ إلى هجْرِ المعالى
فإن أبطأْنَ فاصبرْ غيرْ سالِ كصبرِ الأنبياءِ لها قديمَا

✡ ✡ ✡

ولا تَقْبَلْ لغيرِ الله حُكما ولا تحمِل لغيرِ الدهرِ ظُلماً
ولا تَرْضَ القليلَ الدونَ قِسْما إذا لم تَقدرِ الأمرَ المَرُومَا

✡ ✡ ✡

ولا تيأسْ ولا تَكُ بالضَّجُورِ ولا تَثِقَنَّ مِن مَجْرَى الأُمورِ
فلَيْسَ معَ الحوادثِ مِن قديرِ ولا أَحَدٌ بما تأتى عليما

✡ ✡ ✡

وفى الجُهَّالِ لا تَضعِ الرجاءَ كوَضعِ الشَّمْسِ فى الوَحَلِ الضِّياءَ
يَضيعُ شُعاعُها فيه هَبَاءَ وكان الجهلُ ممقوتاً ذميما

✡ ✡ ✡

وبالِغْ فى التَّدَبُّرِ والتَّحَرِّى ولا تَعْجَلْ وثِقْ من كلِّ أمْرِ
وكُن كالأُسْدِ عند الماءِ تجرِى وليستْ وُرَّداً حتى تحُوما

✡ ✡ ✡

وما الدنيــا بمَثْوًى للعِبـادِ فكن ضَيْفَ الرِّعايةِ والوِدادِ
ولا تَسْتَكْثِرَنَّ من الأعادى فشَرُّ النـاسِ أكثرُهم خصوما

✿ ✿ ✿

ولا تجعلْ تودُّدَكَ ابتِـذالا ولا تَسْمَحْ بحِلْمِك أن يُذالا
وكُنْ مابين ذاك وذاك حالا فلن تُرْضِى العَدُوَّ ولا الحميما

✿ ✿ ✿

وصلِّ صلاةَ من يَرْجُو ويَخْشَى وقَبلَ الصَّوْمِ صُمْ عن كلِّ فَحْشا
ولا تَحْسَبْ بأن الله يُرْشَى وأنَّ مُزَكِّياً أَمِنَ الجَحِيما

✿ ✿ ✿

لِكُلٍّ جَنًى زكاةٌ فى الحيـاةِ ومعنى البِرِّ فى لفظِ الزكاةِ
وما للهِ فينـا مِن جُبَاةِ ولا هو لامْرِئٍ زَكَّى غَرِيمـا

✿ ✿ ✿

فإن تَكُ عالِماً فاعمـلْ وفَطِّنْ وإن تك حاكماً فاعْدِل وأَحْسِنْ
وإن تـكُ صانِعاً شيئاً فأَتْقِنْ وكُنْ للفَـرْضِ بعدئذٍ مُقِيما

✿ ✿ ✿

وصُن لغـةً يحِقُّ لهـا الصِّيانُ فخيرُ مَظاهِرِ الأُمَمِ البَيانُ
وكانَ الشعبُ ليس له لِسـانُ غريباً فى مَوَاطِنِـهِ مَضِيما

✿ ✿ ✿

ألم تَرَها تُنـالُ بكل ضَيْرِ وكان الخيرُ إذ كانتْ بخيرِ
أيَنْطِقُ فى المَشارق كلُّ طيرِ ويَبْـقَى أهلُهـا رَخَماً وبُوما !

✿ ✿ ✿

فعلِّمْها صَغيرَك قبلَ كلٍّ ... ودَعْ دَعْوَى تَمَدُّنِهم وخَلِّ
فما بالعِيِّ فى الدنيا التَّحَلِّى ... ولا خَرَسُ الفَتَى فَضْلًا عظيما

* * *

وخُذْ لغةَ المعَاصِرِ فهى دُنيا ... ولا تجعَلْ لِسانَ الأصْلِ نَسْيَا
كما نَقلَ الغرابُ فضَلَّ مَشْيَا ... وما بَلَغَ الجديدَ ولا القَديما

* * *

لجِيلِك يومَ نشأَتِه مَقالى ... فأما أنتَ يا نَجْلَ المعالى
فتنظُرُ من أبيكِ إلى مِثالِ ... يُحَيِّرُ فى الكَمالات الفُهُوما

* * *

نصائحُ ماأردتُ بها لأهدِى ... ولا أبغى بها جَدْوَاك بَعْدِى
ولكنى أُحِبُّ النَّفْعَ جهدِى ... وكان النفعُ فى الدنيا لزوما

* * *

فإن أُقرِئتَ يامولاى شِعرى ... فإن أباك يَعْرِفُه ويَدْرِى
وجَدُّكَ كان شأْوِى حين أجرِى ... فأصْرَعُ فى سوابِقِها (تميما)

* * *

بنونا أنتَ صُبْحُهُمو الأجلُّ ... وعَهْدُكَ عِصْمَةٌ لهمو وظِلُّ
فَسِلْمٌ لا نُرَجِّيكَ لهم وكلٌّ ... يَعيشُ بأَنْ تَعِيشَ وأن تدُوما !

رِسَالَةُ النَّاشِئَة

« أهداها إلى حضرة صاحب السمو الأمير محمد عبدالمنعم »

أَحْمَــدُ اللهَ وأُطرِى الأنبياءْ ... مَصْدَرَ الحِكمةِ طُرًّا والضياءْ

وله الشكرُ على نُعمَى الوجودْ ... وعلى مانِلتُ من فضلٍ وَجُودْ

* * *

أُعْبُدِ اللهَ بعقــلٍ يابُنَيّ ... وبقلبٍ من رجاءِ اللهِ حَيّ

أُرْجُهُ تُعْطَ مَقاليدَ الفَلَكْ ... واخْشَهُ خَشْيَةَ مَن فِيه هَلَكْ

أُنظرِ المُلكَ وأَكْبِرْ ماخَلَقْ ... وتَمَتَّعْ فيه مِن خيرٍ رَزَقْ

أنت فى الكونِ محلُّ التَّكْرِمَهْ ... كلُّ شيءٍ لك عبدٌ أو أَمَـهْ

سُخِّرَ العالَمُ مِن أرضٍ وماءْ ... لكَ ، والريحُ وما تحتَ السَّمَاءْ

أُذْكُرِ الآيةَ إذْ أنتَ جَنينْ ... لك فى الظلمةِ للنورِ حَنِينْ

كلَّ يومٍ لك شأنٌ فى الظُّلَمْ ... حار فيه كلُّ « بقراطٍ » علِمْ

كان فى جنبِكَ شيءٌ مِن عَلَقْ ... حينَ مَسَّتْهُ يدُ اللهِ خَفَقْ

صار حِسًّا وحَياةً بعد ما ... كان فى الأضلاع لحما ودَمَا

دقّ كالناقوسِ وَسْطَ الهيكلِ ... فى انتفاضٍ كانتفاضِ البُلْبُلِ

قُلْ لمن طبَّب أو من نجَّما : ... صَنْعَةُ اللهِ ولٰكِنْ زَعَمْتُمَا

آمنا بالله إيمانَ العَجُوزْ … إن غيرَ اللهِ عقلًا لا يَجُوزْ

أيُّها الطالبُ للعِلمِ اسْتَمِعْ … خيرَ ما في طلب العلم جُمِعْ

هُوَ إن أُوتِيتَهُ أسْنَى النِّعَمْ … هل تَرَى الجُهَّالَ إلا كالنَّعَمْ

اُطْلُبِ العلمَ لِذاتِ العِلم لا … لِظُهورِ باطلٍ بين المَلَا

عندَ أهلِ العلمِ للعلمِ مَذَاقْ … فإذا فاتَكَ هذا فافْتِرَاقْ

طَلَبُ المحرُومِ للعلمِ سُدَى … ليس للأعمى على الضوءِ هُدَى؛

فإذا فاتَكَ توفيقُ العَلِيمْ … فامتَنِعْ عن كلِّ تحصيلٍ عَقِيمْ؛

واطلُبِ الرزقَ هنا أو هٰهُنا … كم مَعَ الجهلِ يَسَارٌ وغِنَى!

كلُّ ما علَّمَكَ الدَّهْرُ اعْلَمِ … التجاريبُ عُلُومُ الفَهِمِ

إنما الأيامُ والعيشُ كتابْ … كلَّ يومٍ فيه للعبرةِ بابْ

إنْ رُزِقْتَ العِلمَ زِنْهُ بالبَيَانْ … ما يُفِيدُ العَقْلُ إن عَيَّ اللِّسَانْ!

كم عليمٍ سَقَطَ العِيُّ به … مُظْلِمٍ لا تَهْتَدِي في كُتْبِهِ

وأديبٍ فاتَهُ العِلْمُ فما … جاءَ بالحكمةِ فيما نَظَمَا

إن للعلمِ جميعاً فَلْسَفَهْ … مَنْ تَغِبْ عنه تَفُتْهُ المَعْرِفَهْ

اِقْرَإِ التاريخَ إذ فيه العِبَرْ … ضاعَ قومٌ ليس يَدْرُون الخَبَرْ

كُن إلى الموتِ على حُبِّ الوطنْ … مَنْ يَخُنْ أوْطانَه يَوْماً يُخَنْ

وطنُ المرءِ حِماهُ المقتدَى … يَذْكُرُ المِنَّةَ مِنْهُ واليَدَا

قد عرفتَ الدارَ والأهلَ بِهِ … كلُّ حُبٍّ شُعْبَةٌ مِن حُبِّهِ

هُو محبـــو بُك بادٍ محتجِبْ		يعرفُ الشوقَ له مَن يَغْـترِبْ
لكَ منه فى الصِّبَـا مَهْدٌ رحيمْ		فإذا وُورِيتَ فالقبرُ الكريمْ
كم عزيزٍ عندك استَوْدَعْتَهُ		وعُهُودٍ بَعْـدَكَ اسْتَرْعَيْتَهُ
ودَفِينٍ لكَ فيـه كَرُمَا		تَذْرِفُ الدَّمْعَ لِذِكْراهُ دَمَا
كُن نشيطاً عاملا جَمَّ الأملْ		إنمـا الصحةُ والرِزقُ العَمَلْ
كلُّ ماأتقنتَ محبوبٌ وَجِيهْ		مُتْقَنُ الأعمالِ سِرُّ اللهِ فِيـهْ
يُقبِلُ الناسُ على الشيءِ الحَسَنْ		كلُّ شيءٍ بجـزاءٍ وثَمَنْ
أُنظُـــرِ الآثارَ ماأَزْيَنَها		قـد حَباها الخُلْدَ من أَتقَنَها
تلكَ آثارُ بنى مِصرَ الأُوَلْ		أَتقَنُوا الصنعةَ حتى فى الجُعَلْ!
أيهـا التـاجرُ بُلِّغْتَ الأَرَبْ		طالعُ التاجرِ فى حُسْنِ الأدَبْ
بابُ حانوتِكَ بابُ الرازِقِ		لا تُفـــارِقْ بابَهُ أو فارِقِ!
واحْـتَرِمْ فى بابِهِ مَنْ دَخَلَا		كُلُّهـم منـــهُ رَسُولٌ وصلا
تاجرُ القومِ صَدوقٌ وأمينْ		لفظةٌ مِن فيـهِ للقومِ يَمِينْ
إن للإقدامِ ناسًـا كالأُسُـدْ		فَتَشَبَّهْ إنَّ مَنْ يُقْدِمْ يَسُدْ
مِنهمو كلُّ فَتًى سادَ وشـادْ		منهمو «إسكندرٌ» و«ابنُ زِيادْ»
وشجاعُ النفسِ منهم فى الكُروبْ		كشجاعِ القلبِ فى وقتِ الحُروبْ
وابنُ «سُقْرَاطُ» والشُّجعانُ طَلّ		إنما مَن يَنْصُرُ الحقَّ البَطَلْ
هُم جَمالُ الدهرِ حيناً بعد حينْ		من غُـزَاةٍ أو دُعاةٍ مُصْلِحِينْ

لهمو من هيبةٍ عند الأمم ... مالراعى غنمٍ عند الغنم

قل إذا خاطبت غيرَ المسلمين: ... لكمو دينٌ رضيتم ولى دين

خلِّ للديّانِ فيهم شانَه ... إنه أولى بهم سبحانه !

كلُّ حالٍ صائرٌ يوما لضِدّ ... فدعِ الأقدارَ تجرى واستعِد

فلكٌ بالسعدِ والنحسِ يدورْ ... لا تعارضْ أبداً مجرى الأمورْ

قل إذا شئتَ: صروفٌ وغِيَرْ ! ... وإذا شئتَ: قضاءٌ وقدرْ !

واعملِ الخيرَ فإن عشتَ لقِى ... طيِّبَ الحمدِ وإن مِتَّ بقِى

مَنْ يمُتْ عن رِمَّةٍ عندَ يتيمْ ... فرحيمٌ سوف يُجزَى من رحيمْ

كن كريماً إن رأى جُرحاً أسا ... وتعهَّدْ وتوَلَّ البُؤسا

واسخُ فى الشدةِ وازددْ فى الرخاءْ ... كلُّ خُلْقٍ فاضلٍ دونَ السخاءْ

فيه كلُّ بلاءٍ يُدفَعُ ... لستَ تدرى فى غدٍ مايقعُ

جاملِ الناسَ تحزْ رِقَّ الجميعْ ... رُبَّ قيدٍ من جميلٍ وصنيعْ

عاملِ الكلَّ بإحسانٍ تُحَبّ ... فقديما جمَّلَ المرءَ الأدبْ

وتجنَّبْ كلَّ خُلْقٍ لم يرُقْ ... إن ضيقَ الرزقِ من ضيقِ الخُلُقْ

وتواضعْ فى ارتفاعٍ تُعتَبَرْ ... فهما ضدّان كِبْرٌ وكِبَرْ

كل حىٍّ ماخلا اللهَ يموتْ ... فاتركِ الكبرَ له والجبروتْ

وأرِحْ جنبَكَ من داءِ الحسَدْ ... كم حسودٍ قد توفَّاه الكمَدْ

وإذا أُغضِبتَ فاغضبْ لعظيمْ ... شرفٍ قد مُسَّ أو عِرضٍ كريمْ

وتجنّبْ فى الصغيراتِ الغَضَبْ إنه كالنارِ والرُّشْدُ الحَطَبْ

اُطْلُبِ الحقَّ برِفْقٍ تُحْمَدِ طالِبُ الحقِّ بعنفٍ مُعتَدِ

واعْصِ فى أكثرِ ماتأتى الهوَى كم مُطيعٍ لهوَى النَّفْسِ هَوَى

اُذْكُرِ الموتَ ولا تفزعْ فمَنْ يحْقِرِ الموتَ يَنَلْ رِقَّ الزَّمَنْ

أحْبِبِ الطِّفلَ وإن لم يَكُ لَكْ إنما الطفلُ على الأرضِ مَلَكْ

هو لُطْفُ اللهِ لوتعلَمُهُ رَحِمَ اللهُ امرأً يَرْحَمُهُ

عَطْفَةٌ منه على لُعْبَتِه تُخرِجُ المحزونَ من كُرْبَتِه

وحديثٌ ساعةَ الضِّيقِ مَعَهْ يَمْلأُ العيشَ نَعيماً وسَعَهْ

يامُديمَ الصومِ فى الشهرِ الكريم صُمْ عن الغِيبَةِ يوماً والنَّميمْ

وإذا صَلَّيْتَ خَفْ مَنْ تَعْبُدُ كم مُصَلٍّ ضَجَّ مِنهُ المسجدُ !

واجْعَلِ الحجَّ إلى «أُمِّ القُرَى» غِبَّ حَجٍّ لِبُيُوتِ الفُقَرا

هكذا «طٰه» ومَنْ كان مَعَهْ مِنْ وَقارِ اللهِ ألّا تخدَعَهْ

وتَسَمَّحْ وتَوَسَّعْ فى الزكاهْ إنها محبوبةٌ عندَ الإلٰهْ

فَرَضَ البِرَّ بها فرضَ حكيمْ فإذا مازِدْتَ فاللهُ كريمْ

ليس لى فى طِبِّ «جالينوسَ» باعْ بَيْدَ أنّ العَيْشَ دَرْسٌ واطِّلاعْ

اِحْذَرِ التُّخْمَةَ إن كنتَ فَهِمْ إن «عزرائيلَ» فى حَلْقِ النَّهِمْ !

واتّقِ البرْدَ فكم خَلْقٍ قَتَلْ مَن تَوَقّاهُ اتّقَى نِصفَ العِلَلْ

اِتّخِذْ سُكْناكَ فى طَلْقِ الجِواءْ بين شمسٍ ونباتٍ وهَواءْ

خَيْمَةٌ فى البِيدِ خَيْرٌ من قُصورْ　　تَبْخَلُ الشمسُ عليها بالمرورْ

فى غدٍ تأوِى إلى قَفْرٍ حالكْ　　يَسْتَوِى الصُّعْلوكُ فيه والمَلِكْ

واتْرُكِ الخمرَ لِمَشْغُوفٍ بها　　لا يَرَى مَنْدُوحَةً عن شُرْبِها

لا تُنادِمْ غيرَ مأمونٍ كريمْ　　إنَ عقلَ البَعْضِ فى كفِّ النديمْ

وعنِ المَيْسِرِ ما اسْطَعْتَ ابْتَعِدْ　　فَهْوَ سلُّ المالِ بل سلُّ الكَبِدْ

وتَعَشَّقْ وتَعَفَّفْ واتَّقِ　　مادَرَى اللذةَ مَنْ لمْ يَعشقِ!

حَجُّ الأمِير

« أرسل الأبيات الآتية فى برقية إلى
شريف مكة سنة حج الخديو عباس »

دامتْ معاليك فينا يا ابن فاطمةٍ ... ودام منكم لأُفْق البيتِ نبراسُ
قل للخديوِ إذا وافيتَ سُدَّتَهُ ... تَمْشِى إليهِ ويَمْشِى خَلْفَكَ الناسُ :
حَجُّ الأميرِ له الدُّنْيَا قد ابْتَهَجَتْ ... والعَوْدُ والعِيدُ أفراحٌ وأعراسُ
فَلْتَحْيَ مِلَّتُنَا ! فَلْتَحْيَ أُمَّتُنا ! ... فليَحْيَ سُلطانُنا ! فلْيَحْيَ عباسُ !

إسْمَاعِيل!

«وقال وقد أشرف فى مدينة نابلى على
الدار التى كان يقيم فيها الخديو إسماعيل» :

أَبَكيكَ إسماعيلَ مِصرَ وفى البُكا ... بعدَ التَّذكُّرِ راحةُ المُسْتَعْبِرِ

ومِنَ القيامِ ببعضِ حقِّك أننى ... أرْثِى لِعِزِّكَ والنَّعيمِ المُدْبِرِ

هٰذى بيُوتُ الرُّومِ كيفَ سَكَنْتَهَا ... بعد القُصورِ المُزْرِياتِ بِقَيْصَرِ

ومِن العجائبِ أن نفسَك أَقْصَرَتْ ... والدَّهْرُ فى إحراجِها لم يُقْصِرِ

مازالَ يُخْلى مِنكَ كلَّ مَحَلَّةٍ ... حتى دفعتَ إلى المكانِ الأقفرِ

نَظَرَ الزمانُ إلى ديارِكَ كُلِّها ... نَظَرَ (الرَّشيدِ) إلى منازِلِ (جَعْفَرِ)[1]

---

(1) جعفر البرمكى؛ ونكبة البرامكة مشهورة فى تاريخ الرشيد

حَرِيقُ ميت غَمْر (*)

اللهُ يحكمُ فى المدائنِ والقُرى ... يا (ميتَ غَمْر) خُذِى القضاءَ كما جَرَى

ما جَلَّ خَطْبٌ ثم قِيسَ بغَيْرِه ... إلا وهَوَّنَه القِياسُ وصَغَّرَا

فسَلِى (عمورَةَ) أو (سدُونَ) تأسِّياً ... أو (مرْتنيقَ) غَدَاةَ وُورِيَتِ الثَّرى

مُدنٌ لقِينَ من القَضاءِ ونارِه ... شَرَراً بجَنْبِ نصيبِها مُستصْغَرَا

هذى طُلولُك أنفُساً وحِجارةً ... هل كنتِ رُكناً من جَهَنَّم مُسْعرا

قد جئتُ أبكيها وآخُذُ عِبرة ... فوقفتُ مُعْتَبِراً بها مُسْتَعْبِرا

أجِدُ الحَياةَ حياةَ دهرٍ ساعةً ... وأرى النعيمَ نعيمَ عُمْرٍ مُقْصِرا

وأعُدُّ من حَزْمِ الأمورِ وعزمِها ... للنفس أن ترضَى وألّا تَضْجَرَا

مازلتُ أسمعُ بالشَّقاء رِوَايةً ... حتى رأيتُ بكِ الشَّقاءَ مُصَوَّرَا

فعَلَ الزمانُ بشَمْلِ أهلِكِ فِعْلَهُ ... ببَنِى أُمَيَّةَ أو قرابةِ جَعْفَرا

بالأمسِ قد سكنوا الديارَ فأصبحوا ... لا يُنْظَرُون ولا مساكنُهم تُرَى

فإذا لقيت لقيت حيًّا بائساً ... وإذا رأيت رأيت مَيْتاً مُنْكَرا

والأمهاتُ بغيرِ صبرٍ : هذه ... تبكى الصغيرَ، وتلك تبكى الأصغرا !

من كل مُودِعَةِ الطُّلولِ دموعَها ... من أجلِ طفلٍ فى الطلولِ استأخرا

(*) سنة ١٩١٠ ـ نشرت بمجلة المجلات العربية

كانت تؤمِّل أن تطولَ حياتُه والبومَ تسألُ أن يَعودَ فيُقْبَرَا

* * *

طلعتْ عليكِ النارُ طلعةَ شُؤْمِها فَمَحَتْكِ آساساً وغيَّرتِ الذُّرَا

مَلَكَتْ جهاتِكِ ليلةً ونهارَها حمراءَ يبدُو الموتُ منها أحمرا

لا تَرْهَبُ الطوفانَ فى طُغيانِها لو قابلتْه ، ولا تَهابُ الأبحُرا

لو أنَّ (نيرونَ) الجمادَ فؤادُهُ يُدْعَى لِيَنْظُرَها لعافَ المنظرا

أو أنه ابْتُلِيَ (الخليلُ) بمثلِها — أَسْتَغْفِرُ الرحمٰنَ — ولَّى مُدْبِرا

أو أن سَيلا عاصمٌ مِن شَرِّها عصَمَ الديارَ من المدامِعِ ما جَرَى

أمسَى بها كلُّ البيوتِ مُبَوَّباً ومطنَّباً ومُسَيَّجاً ومُسوَّرَا

أسَرَتْهُمُو وتملَّكتْ طُرقاتِهم مَنْ فرَّ لم يجدِ الطريقَ مُيَسَّرا

خَفَّتْ عليهم يَوْمَ ذلك مَوْرِداً وأضلَّهُمْ قَدَرٌ فضلُّوا الْمَصْدَرا

حيثُ الْتَفَتَّ ترى الطريقَ كأنها ساحاتُ حاتِمَ غِبَّ نيرانِ القِرَى

وترى الدعائمَ فى السوادِ كهيكلٍ خمدتْ به نارُ المجوسِ وأقفرَا

وتَشَمُّ رائحةَ الرُّفاتِ كريهةً وتَشَمُّ منها الثاكلاتُ العنبرا

كثرتْ عليها الطيرُ فى حَوْماتِها يا طيرُ كلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرا

هل تأمَنينَ طوارقَ الأحداثِ أن تَغشَى عليكِ الوكرَ فى سِنةِ الكَرَى

والناسُ مِن دانِي القُرى وبعيدِها تأتى لتمشِيَ فى الطلول وتَخْبِرَا

يتساءلون عن الحريقِ وهَوْلِهِ وأرى الفرائسَ بالتساؤُلِ أجدرا

* * *

يارَبِّ قد خمدتْ وليس سواكَ مَنْ يُطفِي القلوبَ المُشْعَلاتِ تَحسُّرَا

فتحوا اكتتاباً للإعانةِ فاكْتتِبْ بالصَّبْرِ فهْوَ بمالِهِم لا يُشْتَرَى

إن لم تكُن للبائسين فمَنْ لَهُمْ أوْ لم تكُنْ للاَّجئين فمَنْ تَرَى!

فتولَّ جَمْعاً في اليَبَابِ مُشَتَّتاً وآرْحَم رَميا في الترابِ مُبَعْثَرا

فعلَتْ بمصرَ النارُ مالم تأتِهِ آياتُك السَّبْعُ القديمةُ في الورَى

أوَمَا تراها في البلاد كقاهرٍ في كلِّ ناحيةٍ يُسَيِّرُ عَسْكرا!

فادْفع قضاءَك أو فصيِّرْ نارَه بَرْداً وخُذ باللُّطْف فيما قُدِّرا.

مُدُّوا الأكفَّ سَخِيَّةً واستغفرِى يا أُمَّةً قد آنَ أنْ تَسْتَغْفِرا

أوْلَى بعطفِ الموسِرين وبِرِّهم مَن كان مِثْلَهُمُو فأصبَحَ مُعْسِرا

يا أيها السُّجَناءُ في أموالِهِم أأمِنْتُمُو الأيامَ أن تَتَغَيَّرَا؟

لا يَمْلِكُ الإنسانُ من أحوالِهِ ما تَمْلِكُ الأقدارُ مهما قَدَّرَا

لا يُبْطِرَنَّكَ مِنْ حَرِيرٍ موطِئٌ فلرُبَّ ماشٍ في الحريرِ تعثَّرَا

وإذا الزمانُ تنكَّرَتْ أحداثُه لأخيكَ، فاذْكُرْه عسى أن تُذْكَرَا

خُطْبَةُ غَلْيُوم

« وخطب غليوم عاهل ألمانيا خطبة فى سنة ١٩٠٦ كان لها رجع عظيم وأحدثت أزمة أوشكت أن تنتهى إلى حرب أوروبية طاحنة ، فقال » :

يارَبِّ ما حُكْمُكَ ماذا تَرَى … فى ذلك الْحُلْمِ العريضِ الطويلْ

قد قام غلْيومُ خَطيباً فما … أعطاكَ من مُلْكِكَ إلا القَليل !

شَيَّدَ فى جَنْبِكَ مُلكاً له … مُلْكُكُ إن قِيسَ إليه الضَّئيلْ !

قد وَرِثَ العالَمَ حَيًّا فما … غادَرَ من فَجٍ ولا مِن سَبيل

فالنِّصفُ للجِرْمانِ فى زَعْمِهِ … والنِّصفُ للرُّومان فيما يَقُول

يارَبِّ قُلْ : سَيفُكَ أمْ سَيفُهُ … أيُّهما يارَبِّ ماضٍ ثقيل !

إن صَدَقتْ يارَبِّ أحلامُه … فإنَّ خَطْبَ المسلمين الجليلْ

لا نحنُ جرمانٌ لنا حِصَّةٌ … ولا بِرُومانَ فنُعْطَى فَتيلْ

يارَبِّ لا تنسَ رعاياك فى … يومٍ رعاياك الفريقُ الذليل

جنايةُ الجهلِ على أهلهِ … قديمةٌ ، والجهلُ بِئْسَ الدليلْ

يا ليتَ لم نَمْدُدْ بشَرٍّ يَداً … وليتَ ظِلَّ السِّلمِ باقٍ ظَليل !

جَنى علينا عصبةٌ جازَفوا … فحَسْبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل !

نَادِى الْمُوسِيقَى الشَّرْقِى

« وقال يخاطب المغفور له الملك فؤاد الأول فى حفلة
افتتاح نادى الموسيقى الشرقى سنة ١٩٢٩ »

خطَّتْ يَدَاكَ الرَّوْضَةَ الغناءَ ... وفرَغْتَ من صَرْحِ الفُنُونِ بِنَاءَ

ما زِلْتَ تَذْهَبُ فى السُّمُوِّ بِرُكْنِهِ ... حتى تجاوَزَ رُكْنُهُ الجوزاءَ

دارٌ من الفنِّ الجميل تَقَسَّمَتْ ... للساهرين روايةً ورُواءَ

كالروضِ تحتَ الطيرِ أعْجَبَ أيكُهُ ... لَحْظَ العُيُونِ وأعجبَ الأَصغاءَ

ولقد نزَلْتَ بها فلم نَرَ قبْلَهَا ... فلكاً جلا شمسَ النهارِ عِشاءَ

وتوهَّجَتْ حتى تقلَّبَ فى السَّنا ... (وادى الملوكِ) حجارةً وفَضَاءَ

فتلفَّتُوا يتهامَسُون لعلَّهُ ... فجْرُ الحضارةِ فى البلاد أضاء

تلك المعازِفُ فى طُلُولِ بنائهم ... أكثَرْنَ نحوَ بِنائكَ الأَيماءَ

وتمايَلَتْ عِيدَانُهُنّ تحيَّـةً ... وترنّمَتْ أوتارُهُن ثناء

* * *

يابانِىَ الإِيوانِ قد نَسَّقْتَهُ ... وحذوْتَ فى هنْدامِها (الحمراءَ)[1]

أين (الْغَرِيضُ) يحِلُّهُ أو (مَعْبَدٌ)[2] ... يتبوَّأُ الحُجُراتِ والأبْهَاءَ

---

(١) من قصور الخلافة بالأندلس : (الحمبرا)

(٢) الغريض ، ومعبد : من أمراء الغناء العربى

الْعَبْقَرِيَّةُ مِنْ صَنَائِعِهِ الَّتِي يَحْبُو بِهَا — سُبْحَانَهُ — مَنْ شاء
لما بَنَيتَ الأيْكَ واسْتَوْهَبْتَهُ بَعَثَ الْهَزَارَ وأَرْسَلَ الْوَرْقَاءَ
فسمعْتَ من مُتَفَرِّدِ الأنغامِ ما فاتَ (الرشيدَ) وأخطأَ النُّدَماءَ
والفنُّ رَيْحَانُ الْمُلُوكِ، ورُبَّمَا خَلَدُوا على جَنَبَاتِهِ أَسْمَاءَ
لولا أيادِيه على أبنائِنا لم نُلْفَ أَمْجَدَ أُمَّةٍ آباءَ
كانت أوائلُ كلِّ قومٍ فى العُلا أَرْضاً، وكُنَّا فى الفَخارِ سَمَاء
لولا ابتسامُ الفَنِّ فيما حَوْلَهُ ظلَّ الوجودُ جهامةً وجَفَاء
جرِّدْ من الفنِّ الحياةَ وما حَوَتْ تجِدِ الحياةَ من الجمالِ خلاء
بالفنِّ عالجتِ الحياةَ طبيعةٌ قد عالجتْ بالواحةِ الصَّحْرَاءَ
تأوِى إليها الرُّوحُ من رَمْضَائِهَا فتُصيب ظِلاًّ أو تُصادِفُ ماء
نبضُ الحضارةِ فى الممالكِ كلِّها يجرى السلامةَ أو يدقّ الداء
إن صحَّ فهْىَ على الزمانِ صحيحةٌ أو زافَ كانت ظاهراً وطِلاء

✡ ✡ ✡

أُنظرْ أبا الفاروقِ غَرْسَكَ هل ترَى بالْغَرْسِ إلا نِعْمَةً ونَمَاء
مِن حبَّةٍ ذخرتْ وأَيدٍ ثابرتْ جاء الزمانُ بجنَّةٍ فيحاءَ
وأكنَّتِ الفَنَ الجيلَ خميلةٌ رَمَتِ الظلالَ ومدَّتِ الأفياء
بَذَلَ الجهودَ الصالحاتِ عصابةٌ لا يَسألون عن الجهود جَزاء
صَحِبُوا رسولَ الفنِّ لا يألُونَه حُبًّا وصِدْقَ مودةٍ ووفاءَ

دَفعوا العوائقَ بالثبات وجاوزُوا ... ما سرّ من قَدَرِ الأمورِ وساء

إن التعاونَ قوّة عُلويّة ... تبني الرجالَ وتُبْدِعُ الأشياء

فَلْيَهْنِهِمْ؛ حازَ التفاتكَ سَعْيُهُمْ ... وكسا نَدِيَّهُمُو سَنًا وسَناء

لم تَبْدُ للأبصار إلا غارساً ... لِخَوالِفِ الأجيالِ أو بَنَّاء

تغدو على الفَتَرَاتِ تَرْتَجِلُ النَّدَى ... وتَرُوحُ تصطَنِعُ اليَدَ البيضاء

في مَوْكِبٍ كالغَيْثِ سار رِكابُهُ ... بِشْرًا وحَلَّ سعادةً ورخاء

أنت اللِّوَاءُ التف قومُكَ حَوْلَهُ ... والتاجُ يجعله الشعوبُ لواء

من كل مِئْذنةٍ سمعتَ محبة ... وبكلِّ ناقوسٍ لقيتَ دُعاء

يتألّفان على الهُتافِ كما انْبَرَى ... وتَر يُسايِر في البَنَانِ غِناءَ

مَصْرَعُ بُطْرس غَالِي باشا

«حينما قتل بطرس غالى باشا فى مصر برصاصة من يد إبراهيم الوردانى فى سنة ١٩١٠ هاجت النفوس واستاء كثير من الأقباط لوقوع الجريمة على زعيم ووزير قبطى، فقال فى ذلك» :

بَنِي الْقِبْطِ إِخْوَانَ الدُّهُورِ رُوَيْدَكُمْ ... هَبُوه (يَسُوعاً) فى البَرِيَّةِ ثانيا

حَمَلْتُمْ لِحُكْمِ اللهِ صَلْبَ (ابنِ مَرْيَمٍ) ... وهذا قضاءُ اللهِ قد غالَ (غاليا)

سَدِيدُ المرامِي قد رماه مُسَدَّدٌ ... وداهِيَةُ السُّوَّاسِ لاقَى الدَّوَاهِيا

وواللهِ لو لم يُطْلِقِ النارَ مُطْلِقٌ ... عليه، لأَوْدَى فَجْأَةً أو تَدَاوِيا

قضاءٌ ومِقْدارٌ وآجالُ أَنْفُسٍ ... إذا هى حانَتْ لم تؤخَّرْ ثوانيا

نَبِيدُ كما بادتْ قبائلُ قبلَنا ... ويَبْقَى الأنامُ اثنَيْن : مَيْتاً وناعِيا!

تعالَوْا عسى نَطْوِي الجفاءَ وعَهْدَهُ ... ونَنْبِذُ أسبابَ الشِّقاقِ نَوَاحِيا

ألم تكُ (مِصرٌ) مَهْدَنا ثم لَحدَنا ... وبينَهُما كانتْ لكلٍّ مَغَانيا

ألم تَكُ من قبلِ (المسيحِ ابنِ مريمٍ) ... و(مُوسَى) و(طَه) نَعْبُدُ النِّيلَ جاريا

فَهَلَّا تساقَيْنا على حُبِّه الْهَوَى ... وهَلَّا فَدَيْنَاه ضفافاً وواديا

ومازالَ منكم أهلُ وُدٍّ ورحمةٍ ... وفى المسلمين الخيرُ مازالَ باقيا

فلا يَثْنِكُمْ عن ذِمَّةٍ قتلُ (بُطْرُسٍ) ... فقِدْماً عَرَفْنا القتلَ فى الناسِ فاشيا

تَحِيَّةُ غَلْيُوم الثانى لِصَلاَحِ الدِّين فى القَبْرِ

عظيمُ الناسِ مَن يبكى العِظاما — وَيَنْدُبُهُمْ ولو كانُوا عِظاما

وأكرَمُ مِن غمامٍ عند مَحْلٍ — فَتًى يُحْيِي بمِدْحَتِهِ الكِراما

وما عُذْرُ المقصِّرِ عن جزاء — وما يَجْزِيهِمُو إلا كلاما !

فهل مِنْ مُبْلِغٍ غَلْيُومَ عنِّى — مَقالاً مُرْضِياً ذاكَ المقاما

رعاكَ اللهُ من مَلِكٍ هُمامٍ — تَعَهَّدَ فى الثَّرَى مَلِكاً هُماما

أرى النسيانَ أظمأَه فلَمَّا — وَقَفْتَ بقبره كنتَ الغَماما

تُقَرِّبُ عَهْدَه للناس حتى — تركتَ الجيلَ فى التاريخِ عاما

أتَدْرِى أىَّ سلطانٍ تُحَيِّى — وأىَّ مُمَلَّكٍ تُهْدِى السَّلاما !

دعوتَ أجلَّ أهلِ الأرضِ حَرْباً — وأشرَفَهم إذا سَكَنُوا سلاما

وقفتَ به تُذَكِّرُهُ مُلوكا — تَعَوَّدَ أنْ يُلاقُوهُ قِياما !

وكم جَمَعَتْهُمُو حربٌ فكانوا — حَدائدَها وكانَ هو الحُساما

كِلامٌ للبَرِيَّة دامياتٌ — وأنتَ اليَوْمَ مَنْ ضَمَدَ الكِلاما

فلما قُلتَ ما قد قُلتَ عنه — وأَسْمَعْتَ المَمالكَ والأناما

تساءَلَتِ البرِيَّةُ وهى كَلْمَى — أحُبًّا كان ذاكَ أمِ انتقاما

وأنتَ أجلُّ أن تُزْرِى بمَيْتٍ — وأنتَ أبَرُّ أن تُؤْذِى عِظاما

فلو كان الدوامُ نصيبَ مَلْكٍ — لنال بِحَدِّ صارِمِهِ الدَّواما

القمر على آفاق كلازومين ليلة المولد النبوى الأسنى

فـدينـاه من زائر مرتقب	بدا للوجـود بمرأى عجب
تهـز الجبـال تبـاشـيره	كما هز عطف الطروب الطرب
ويحـلى البحـار بلألائه	فمنها الكئوس ومنه الحبب
منـار الحزون إذا ما اعتلى	منـار السهول إذا ما انقلب
أتانا من البحر فى زورق	لجينا مجاذيفه من ذهب
فقلنا سليمان لو لم يمت	وفرعون لو حملته الشهب
وكسرى وما خمدت ناره	ويوسـف لو أنه لم يشب
وهيهات ما توجوا بالسـنا	ولا عرشهم كان فوق السحب
أناف على المـاء ما بينها	وبين الجبـال وشم الهضب
فلا هو خاف ولا ظاهر	ولا سـافر لا ولا منتقب
وليس بثـاو ولا راحـل	ولا بالبعيـد ولا المقترب
توارى بنصف خلال السحب	ونصف على جبل لم يغب
يجـددها آية قـد خلت	ويذكر ميلاد خير العرب

أَثِينَا (*)

« وأوفدته الحكومة المصرية إلى (أثينا) عاصمة اليونان لحضور مؤتمر المستشرقين ، فقال يخاطبها » :

إن تسألى عن مِصْرَ (حوّاءِ) القُرى ... وقَــرارةِ التاريخ والآثارِ

فالصُّبحُ فى (مَنْفٍ)و(ثيبة) واضحٌ ... مَنْ ذَا يُلاقى الصُّبحَ بالإنكارِ

بالْهَيْلِ مِن (مَنْفٍ)ومن أرْباضِها ... مَجْدُوعُ أنْفٍ فى الرِّمالِ كُفَارِى (1)

خَلَتِ الدُّهورُ وما الْتَقَتْ أجفانُهُ ... وأتَتْ عليه كَلَيْـلَةٍ ونَهَارِ

ما فَلَّ ساعِدَهُ الزمانُ ولم يَنَلْ ... منه اختلافُ جَوارِفٍ وذَوَارِ

كالدهرِ لو مَلَكَ القيامَ لِفَتْكَةٍ ... أو كان غيرَ مُقَلَّمِ الأظفارِ

وثلاثةٍ شبَّ الزمانُ حيالَها ... شُمٍّ على مَرِّ الزَّمانِ كِبارِ (2)

قامت على النيل العهيدِ عهيدةً ... تكسُوه ثوبَ الفَخْرِ وهْىَ عَوَارِ

مِنْ كلِّ مركوزٍ كرَضْوَى فى الثَّرى ... متطاولٍ فى الجوِّ كالأعْصارِ

الجنُّ فى جَنَبَاتِها مطروفةٌ ... ببدائعِ البنَّاءِ والحفَّارِ

والأرضُ أضْيَعُ حيلةً فى نَزْعِها ... مِن حيلةِ المصلوبِ فى المِسْمارِ

تلك القبورُ أضَنُّ مِنْ غَيْبٍ بمَا ... أخْفَتْ مِنَ الأعلاقِ والأذْخارِ

(*) نشرت بمجلة رعمسيس سنة ١٩١٢

(١) الكفارى : العظيم الاذنين ؛ يشير إلى تمثال أبى الهول

(٢) يشير إلى الأهرام

نام المُلوكُ بها الدُّهورَ طويلةً يجِدُون أرْوَحَ ضَجْعَةٍ وقرارِ

كلٌّ كأهلِ الكهف فوق سريره والدهرُ دُون سريرِه بهجار

أملاكُ مصرَ القاهرون على الورَى المُنْزَلون منازلَ الأقمار

هَتَكَ الزمانُ حجابَهم وأزالهم بعد الصِّيانِ إزالةَ الأسرار

هيهاتَ لم يَلْبِسْ جلالَهُمُو البِلَى إلا بأيدٍ فى الرَّغام قصارِ

كانوا وطَرْفُ الدهرِ لايسْمُو لهم ما بالُهُمْ عُرِضُوا على النُّظّارِ

لو أُمْهِلوا حتى النُّشورِ بِدُورِهم قامُوا لخالِقِهم بغير غُبار!

ذكرى محمد فريد

«ألقيت فى الاحتفال بالذكرى الخامسة
للمغفور له محمد فريد بك سنة ١٩٢٤»

نجدّدُ ذِكرى عهدِكم ونعيدُ ... وندنِي خَيالَ الأمسِ وهْوَ بَعيدُ

ولِلنّاسِ فى الماضى بصائرُ يهتَدِى ... عَليهِنّ غاوٍ أو يَسيرُ رَشيدُ

إذا المَيْتُ لم يكرُمْ بأرضٍ ثَناؤُهُ ... تحيّرَ فيها الحَىُّ كيفَ يَسُودُ

ونَحنُ قضاةُ الحقِّ نَرعى قَديمَهُ ... وإنْ لمْ يفتْنَا فى الحقوقِ جَديدُ

ونَعلمُ أنّا فى البِناءِ دَعائِمٌ ... وأنتُمْ أَساسٌ فى البِناءِ وَطِيدُ

فريدُ، ضَحَايانا كثيرٌ وَإنّما ... مَجالُ الضّحايا أنتَ فيهِ فريدُ

فما خَلْفَ ما كابدْتَ فى الحقِّ غايةٌ ... ولا فَوْقَ مَاقاسَيْتَ فيهِ مَزِيدُ

تَغَرّبْتَ عشرًا أنتَ فيهنّ بائسٌ ... وأنت بآفاقِ البِلادِ شَريدُ

تجُوعُ بِبُلْدانٍ وتَعرَى بِغيرِها ... وتَرزَحُ تحتَ الدّاءِ وهْوَ عَتِيدُ

ألَا فِى سَبيلِ اللهِ والحقِّ طارِفٌ ... مِن المالِ لم تَبْخَلْ بهِ وتَلِيدُ

وَجُودُكَ بَعدَ المالِ بالنّفسِ صابرًا ... إذا جَزِعَ المَحْضُورُ وَهْوَ يَجُودُ

فلا زِلْتَ تِمثالًا مِنَ الحقِّ خالصًا ... عَلَى سِرّهِ نَبْنِي العُلا وَنَشِيدُ

يُعلِّمُ نَشْءَ الحَىِّ كيفَ هَوَى الحِمَى ... وكيفَ يُحامِي دُونَهُ ويَذودُ

النَّخيلُ مَا بَيْنَ المُنْتَزَه وَأبي قِير

« نظمها بالإسكندرية فى صيف سنه ١٩٣١ »

أرى شَجَراً فى السماءِ احتجبْ　　وشقّ العَنانَ بمرأًى عَجَبْ

مآذنُ قامتْ هُنا أو هُناكَ　　ظَواهرُها درجٌ مِن شذَب

وليس يؤذّنُ فيها الرِّجالُ　　ولكن تصيحُ عليها الغُرُبْ

وباسقة من بناتِ الرِّمال　　نَمتْ ورَبَتْ فى ظِلالِ الكُثب

كساريةِ الفُلْكِ أو كالمسلّةِ أو كالفَنارِ وراء العُبَبْ

تطولُ وتَقْصُرُ خلْف الكثيبِ　　إذا الريحُ جاءَ به أو ذَهَبْ

تخالُ إذا اتّقَدتْ فى الضُّحى　　وجرّ الأصيلُ عليها اللّهَبْ

... وطافَ عليها شُعاع النّهارِ　　من الصَّحْوِ أو من حواشى السُّحُبْ

... وصيفةَ فِرْعَونَ فى ساحةٍ　　من القصر واقفةً ترْتَقِبْ

قد اعْتَصَبَتْ بفصُوص العقيقِ　　مفصَّلةً بشُذور الذهب

وناطت قلائدَ مَرْجانِها　　على الصَّدْر واتّشَحَتْ بالقَصَبْ

وشدّت على ساقِها مِئْزَراً　　تَعَقّدَ من رأسِها للذَّنَبْ

✡ ✡ ✡

أهذا هو النَّخلُ مَلْكُ الرِّياضِ　　أميرُ الحقولِ عروسُ العِزَبْ

طعامُ الفقيرِ وحَلْوَى الغَنىّ ⠀⠀ وزادُ المُسافِرِ والْمُغْتَرِبْ

فيا نخلةَ الرملِ لم تبخلى ⠀⠀ ولا قصّرت نَخَلاتُ التُّربْ

وأعْجَبُ كيف طوَى ذكرَكُنّ ⠀⠀ ولم يحتفلْ شعراءُ العَرَبْ !

أليسَ حراماً خُلُوُّ القصائـدِ ⠀⠀ من وصْفِكنّ وعُطْلِ الكتُبْ

وأنتنّ فى الهاجرات الظلالُ ⠀⠀ كأن أعاليكنّ العبب

وأنتن فى البيد شاةُ المُعيلِ ⠀⠀ جَنَاها بجانبِ أُخرى حَلَبْ

وأنتن فى عَرَصاتِ القُصورِ ⠀⠀ حسانُ الدُّمى الزائناتُ الرّحب

جناكنّ كالكرْمِ شتّى المذاقِ ⠀⠀ وكالشّهْدِ فى كلِّ لونٍ يُحَبّ

البحرُ الأبيضُ

« نظمت بالإسكندرية فى صيف سنه ١٩٣١ »

أمِنَ البحرِ صائغٌ عبقريٌّ　　بالرِّمالِ النَّواعِمِ البيضِ مُغْرَى

طاف تحتَ الضحى عليهنَّ والجوْ　　هَرُ فى سُوقِهِ يُباعُ ويُشرَى

جِئْنَهُ فى مَعاصِمٍ ونُحورٍ　　فكسا مِعْصَماً وآخرَ عرَّى

وأبى أن يقلّدَ الدُّرَّ والياقوتَ　　نحراً وقلّدَ الماسَ نحرَا

وترَى خاتماً وراءَ بَنانٍ　　وبناناً من الخواتمِ صِفْرَا

وسِواراً يزينُ زَنْدَ كَعَابٍ　　وسِواراً من زَنْدِ حسناءَ فَرَّا

وترى الغِيدَ لؤلؤاً ثَمَّ رَطْباً　　وجُماناً حَوَالَى الماءِ نَثْرَا

وكأنَّ السماءَ والماءَ شِقَّا　　صَدَفٍ حُمِّلا رفيفاً ودُرَّا

وكأنَّ السماءَ والماءَ عُرْسٌ　　مُتْرَعُ المِهْرَجانِ لَمْحًا وعِطْرَا

أو رَبيعٌ من ريشةِ الفنِّ أبْهَى　　مِن ربيعِ الرُّبَى وأفتنُ زَهْرَا

أو تهاويلُ شاعرٍ عبقريٍّ　　طارحَ البحرَ والطبيعةَ شعرَا

ياسِوَارَىْ فَيرُوزَجٍ ولُجَيْنٍ　　بهما حُلِّيَتْ معاصِمُ مِصْرَا

فى شُعاعِ الضُّحَى يعودان ماسا　　وعلى لَمْحَةِ الأصائلِ تِبْرَا

ومَشَتْ فيهما النُّجومُ فكانت　　فى حَوَاشِيهما يواقيتَ زُهْرَا

لكَ فى الأرض مَوْكِبٌ ليس يألو الـــرِّيحَ والطيرَ والشياطينَ حشرًا[1]

سِرْتَ فيه على كُنوز (سُلَيْمَا نَ) تعدُّ الخُطَى اختيالًا وكِبْرًا

وترنَّمْتَ فى الركاب فقُلْنا راهبٌ طاف فى الأناجيل يَقْرَا

هو لحْنٌ مُضَيَّعٌ ، لاجوابا قد عرفنا له ولا مُسْتَقَرَّا

لك فى طَيِّهِ حديثُ غرامٍ ظَلَّ فى خاطر المُلحِّنِ سِرًّا

* * *

قد بَعَثْنَا تحيَّةً وثناءً لكَ يا أرفعَ الزَّوَاخِرِ ذِكرا

وغَشِينَاكَ ساعة تَنبِشُ المَا ضِىَ نَبشًا ونَقْتُلُ الأمسَ فِكْرا

وَفَتَحْنَا القديمَ فيكَ كِتَابًا وقرأنا الكتابَ سطرًا فَسَطْرَا

وَنَشَرْنا من طَيِّهِنَّ الليالى فَلَمَحْنَا من الحضارةِ فَجْرَا

ورأينا مِصرًا تُعَلِّمُ (يُونا نَ) ويُونانَ تَقْبِسُ العلمَ مِصْرَا

تلكَ تأتيكَ بالبيانِ نبِيًّا عبقرِيًّا وتِلْكَ بالفنِّ سِحْرَا

ورأينا المنارَ فى مَطْلَعِ النَّجْـــمِ على بَرْقِهِ المُلَمِّحِ يُسْرَى

شاطِئٌ مثلُ رُقْعَةِ الخُلْدِ حُسنًا وأديمِ الشبابِ طِيبًا وبِشْرَا

جَرَّ فَيْرُوزَجًا على فِضَّةِ المَا ءِ وجَرَّ الأصيلُ والصبحُ تِبْرَا

كلما جِئْتَهُ تَهَلَّلَ بِشْراً مِن جميع الجهات وافترَّ ثَغْرَا

اِنْثَنَى مَوْجَةً وأقبلَ يُرْخِى كِلَّةً تارةً ويَرْفَعُ سِتْرَا

(١) ليس يألو الريح ... الخ : ليس يقصر عنها .

شَبَّ وَانْحَطَّ مِثْلَ أسرابِ طيرٍ ... ماضياتٍ تَلُفُّ بالسَّهْلِ وَعْرَا
رُبَّمَا جاء وَهْدَةً فَتَرَدَّى ... فى الْمَهَاوِى وقام يَطْفُرُ صَخْرَا
وَتَرَى الرملَ والقصورَ كأَيْكٍ ... ركب الوَكْرِ فى نواحيهِ وَكْرَا
وَتَرَى جَوْسَقاً يُزَيِّنُ رَوْضًا ... وَتَرَى رَبْوَةً تُزَيِّنُ مِصْرا

✡ ✡ ✡

سَيِّدَ الماءِ، كم لنا من (صلاحٍ) ... و (عَلِيٍّ) وراءَ مائك ذِكْرَى[1]
كم مَلأْناكَ بالسَّفِين مَوَاقِيـرَ[2] ... كَشُمِّ الجبال جُنداً وَوَفْرَا
شاكياتِ السلاحِ يَخْرُجْنَ من مصـرٍ ... بمَلْمُومَةٍ وَيَدْخُلْنَ مِصْرَا
شارعاتِ الجناحِ فى ثَبَجِ الما ... ءِ كَنَسْرٍ يشدُّ فى السُّحْب نَسْرَا
وكأنَّ اللُّجاجَ حينَ تَنَزَّى ... وتسدُّ الفجاجَ كرًّا وفرًّا...
... أَجَمٌ بعضُهُ لبعضٍ عَدُوٌّ ... زَحَفَتْ غابةٌ لتمزيق أُخرى!
قَذَفَتْ هٰهُنا زَئِيراً ونابًا ... وَرَمَتْ هٰهُنا عُواءً وظُفْرَا
أنتَ تَغْلِى إلى القيامة كالقِدْ ... رِ، فلا حطَّ يومُها لكَ قِدْرَا

(١) يريد صلاح الدين الأيوبى ومحمد على باشا
(٢) مواقير: موقرة: مثقلة بما تحمل

قِفْ حَيِّ شُبَّانَ الحِمَى

« نظمها فى الطلاب المصريين الذين يطلبون العلم فى أوربا »

قِفْ حَيِّ شُبَّانَ الحِمَى　　قبلَ الرحيلِ بقافِيَهْ

عَوَّدْتُهُمْ أمثالَهَا　　فى الصالحاتِ الباقيهْ

مِنْ كلِّ ذاتِ إشارةٍ　　ليستْ عليهم خافِيَهْ

قُلْ ياشبابُ نصيحة　　مما يزوِّدُ غاليه

هل راعكم أن المدا　　رِسَ فى الكنانةِ خاويَهْ

هُجِرَتْ فكلُّ خليَّةٍ　　من كُلِّ شَهْدٍ خاليه

وتعطَّلَتْ هالاتُها　　مِنكم وكانتْ حاليه

غَدَتِ السياسةُ وهْيَ آ　　مِرةٌ عليها ناهيه

فهجرتُمُو الوطنَ العز　　يزَ إلى البلادِ القاصيه

＊ ＊ ＊

أَأَنْتُمْ غَداً فى عالَمٍ　　هُو والحضارةُ ناحِيهْ

وأُريْتُ فيه شبيبتى　　وقضيتُ فيه ثمانيَهْ

ما كنتُ ذا القلبِ الغلي　　ظِ ولا الطِّباعِ الجافيهْ

سيروا به تتعلموا سرّ الحياة العالية
وتأمّلوا البُنْيان واذّكِرُوا الجهود البانية
ذُوقوا الثمار جَنِيَّةً وَرِدُوا المناهل صافيه
واقضوا الشبابَ فإنّما عمره القصيرة فانيه
واللهِ لا حَرَجٌ عليكم في حديثِ الغانيه !
أو في اشتهاءِ السِّحرِ من لحظِ العيونِ الساجيه
أو في المسارحِ فهى بالنّفسِ اللطيفةِ راقيه !

ثنى عطفيهما الهرمان تيهاً

«وقال يحيي المغفور له الملك فؤاد فى إبان زيارته للجيزة فى ديسمبر سنة ١٩٣٠» :

بأرضِ الجيزةِ اجتازَ الغَمامُ   وحلَّ سماءَها البدرُ التمامُ

وزارَ رياضَ إسماعيلَ غيثٌ   كوالدِه له المِننُ الجِسامُ

ثَنَى عِطْفَيْهِما الهرمانِ تيهاً   وقال الثالثُ الأدنى سلامُ

هَلُمَّ مَنْفُ هذا تاجُ خوفو   كقُرْصِ الشمسِ يَعْرِفه الأنامُ

نَمَتْهُ مِن بنى فِرْعَوْنَ هامٌ   ومِن خلفاءِ إسماعيلَ هامُ

تألَّقَ فى سمائك عَبْقَرِيًّا   عليه جلالةٌ وله وسامُ

ترعرعتِ الحضارةُ فى حِلاهُ   وشبَّ على جواهرِه النظامُ

ونال الفنُّ فى أُولى الليالى   وأُخْرَاهُنَّ عِزًّا لا يُرَامُ

✡ ✡ ✡

مَشَى فى جيزة الفُسْطَاط ظِلٌ   كظِلِّ النيلِ بُلَّ به الأُوَامُ

إذا ما مَسَّ تُرْباً عاد مِسْكاً   ونافَسَ تحتَه الذهبَ الرَّغامُ

وإنْ هو حلَّ أرضاً قام فيها   جِدارٌ للحضارةِ أو دِعامُ

فمدرسةٌ لحربِ الجهلِ تُبْنَى   ومُسْتَشْفَى يُذَادُ به السَّقامُ

وَدارٌ يُسْتَغَاثُ بها فيَمضِى … إلى الإسعافِ أنْجادٌ كِرامُ
أُسَاةُ جِرَاحَةٍ حِيناً وحِينًا … مَيَازِيبٌ إذا انفجر الضِّرَامُ
وأحواضٌ يُراضُ النيلُ فيها … وكلُّ نجيبةٍ ولهـا لِجامُ
أبا الفاروقِ أَقبلْنَا صُفوفًا … وأنتَ من الصفوفِ هو الإمامُ
إلى البيتِ الحرامِ بك اتَّجَهْنا … ومِصرُ وحقِّها البيتُ الحرام
طلعتَ على الصعيدِ فهَشَّ حتى … علا شَفَتَيْ أبي الهولِ ابتسامُ
رِكابٌ سارتِ الآمالُ فيه … وطافَ به التلفتُ والزِّحامُ
فماذا فى طريقك من كُفورٍ … أَجَلُّ من البُيوتِ بها الرِّجامُ
كأن الراقدين بكل قاعٍ … هُمُ الأيْقاظُ واليَقْظَى النِّيامُ
لقد أَزَمَ الزمانُ الناسَ فانظُرْ … فعِندك تُفْرَجُ الأزمُ العِظام
وبَعْدَ غَدٍ يُفارِقُ عامُ بؤسٍ … ويَخلُفه مِن النَّعماءِ عامُ
يَدورُ بمصرَ حالًا بعدَ حالٍ … زمانٌ ما لِحالَيْهِ دَوَامُ
ومِصْرُ بِناءُ جَدِّكَ لم يَتِمَّ … أليس على يَدَيْكَ له تَمامُ ؟
فلسنا أُمَّةً قعدتْ بشَمْسٍ … ولا بَلداً بضاعته الكلامُ
ولكنْ هِمَّةٌ فى كلِّ حينٍ … يَشُدُّ بِناءَها المَلِكُ الهُمَامُ
تَرومُ الغايَةَ القُصْوَى فتَمضِى … وأنتَ على الطريقِ هو الزِّمامُ
ونقصر خطوَةً وتَمُدُّ أُخرَى … وتُلْجِئُنَا المسافةُ والمرامُ
ونَصبِرُ للشدائدِ فى مقامٍ … ويَغلِبُنا على صبرٍ مقامُ

فَقَوِّ حَضارةَ الماضى بأُخْرَى   لها زَهْوٌ بِعَصْرِكَ واتِّسامُ
تَرِف صحائفُ البِرْدِىِّ فيها   ويَنطقُ فى هياكِلِها الرّخامُ
رَعَتْكَ وواديا تَرْعاه عَنّا   مِنَ الرحمٰنِ عَـيْنٌ لا تَنامُ
فإن يكُ تاجُ مِصْرَ لها قِوَامًا   فمصرُ لتاجِها العـالى قِوَامُ
لِتَهْنأْ مِصْرُ ولْيَهْنأْ بَنوها   فبينَ الرأسِ والجسمِ التئامُ

الأميرةُ فتحيّة :

« وقال فى برقية يهنئ بميلاد صاحبة السمو الملكى الأميرة فتحية »

فَتحِيّةٌ دُنيا تَدومُ، وصِحّةٌ ... تَبقى، وبَهجةُ أُمّةٍ، وحَياةُ

مَولاىَ! إنّ الشمسَ فى علياتها ... أُنثى وكُلُّ الطيباتِ بَناتُ!

تَهْنِئَة:

« وقال يهنئ الدكتور على باشا إبراهيم بمناسبة الإنعام عليه برتبة الباشوية سنة ١٩٣٠ »

يَدُ الملِكِ العلَوِىِّ الكريم — على العلمِ هَزَّتْ أخاه الأدبْ

لسانُ الكنانةِ فى شكْرِها — وما هو إلا لسانُ العَرَبْ

قَضَتْ مِصرُ حاجتَها يا(عَلِىُّ) — ونالتْ ونالَ بَنُوها الأرَب

وهَنَّأْتُ بالرُّتَبِ العَبْقَرِىَّ — وهَنَّأْتُ بالعبقرِىِّ الرُّتَبْ

علِىُّ ! لقد لَقَبَتْكَ البِلادُ — بآسِى الجِراحِ ، ونِعْمَ اللقَبْ !

سِلاحُكَ من أَدواتِ الحياةِ — وكلُّ سلاحٍ أداةُ العَطَبْ

واَفْظُكَ (بِنْجٌ) ولٰكِنَّهُ — لَطيفُ الصَّبا فى جُفونِ العَصَبْ

أنامِلُ مِثْلُ بَنَانِ المسِيحِ — أَوَاسِى الجِرَاحِ مَوَاحِى النُّدَبْ

تعالِجُ كَفَّاكَ بؤسَ الحياة — فكفٌّ تُداوِى وكفٌّ تَهَبْ

ويستمسكُ الدَّمُ فى راحتَيْكَ — وفَوْقَهُمَا لا يَقَرُّ الذَّهَبْ

كأنكَ للموتِ مَوْتٌ أُتِيحَ — فلم يَرَ وجْهَكَ إلا هَرَبْ !

يا قاهرَ الْغَرْبِ الْعَتيدِ

« وقال فى حفلة تكريم البطل العالمى فى حمل الأثقال السيد نصير ، فى ديسمبر سنة ١٩٣٠ »

شَرَفاً نُصَيْرُ ارْفَعْ جَبِينَكَ عالِيًا ... وتَلَقَّ مِن أوطانك الإكليلا

يَهْنِيكَ ما أُعْطِيتَ من إكرامِها ... ومُنِحتَ مِنْ عطف ابنِ إسماعيلا

اليومَ يَوْمُ السَّابِقِين فكُنْ فَتًى ... لم يَبْغِ مِنْ قَصَبِ الرِّهانِ بَدِيلا

وإذا جَرَيْتَ مع السوابق فاقتحِمْ ... غُرَراً تَسِيل إلى المدى وحُجُولا

حتى يراكَ الجمعُ أوّلَ طالِعٍ ... ويَرَوْا على أعرافِكِ الْمِنْدِيلا

هذا زمانٌ لا تَوَسُّطَ عِنْدَهُ ... يَبْغِي الْمُغَامِرُ عالياً وجليلا

كُنْ سابقاً فيه أو ابْقَ بِمَعْزِلٍ ... ليس التَّوَسُّطُ للنبُوغِ سَبِيلا

يا قاهرَ الغربِ العتيدِ مَلَأْتَهُ ... بثناءِ مِصْرَ على الشِّفاهِ جَمِيلا

قلَبْتَ فيه يداً تكاد لِشِدَّةٍ ... فى البأْسِ تَرْفع فى الفَضاءِ الفِيلا !

إن الذى خَلَقَ الحديدَ وبأسَه ... جعلَ الحديدَ لِسَاعِدَيْكَ ذليلا

زَحْزَحْتَهُ فتخاذلتْ أجلادُه ... وطَرَحْتَهُ أرضاً فصَلَّ صَلِيلا

لِمَ لا يَلِينُ لكَ الحديدُ ولم تَزَلْ ... تَتْلو عليه وتَقْرأُ التَّنْزِيلا ؟

الأزْمَةُ اشْتَدَّتْ ورَانَ بلاؤُها ... فاصْدِمْ بِرُكْنِك رُكْنَها لِيَمِيلا

(شَمْشُون) أنتَ وقدْ رَسَتْ أركانُها ... فتَمَسْ فى أركانِها لِتَزُولا

قُلْ لى نَصيرُ وأنتَ بَرٌّ صادِق ... أَحَمَلْتَ إنساناً عليك ثقيــــلا!

أَحَمَلْتَ دَيْناً فى حياتِكَ مَرَّةً! ... أَحَمَلْتَ يوماً فى الضُّلوع غَليلا!

أَحَمَلْتَ ظُلما من قريبٍ غادِرٍ ... أو كاشحٍ بالأمسِ كانَ خَليلا!

أحملتَ مَنًّا بالنَّهارِ مُكَرَّرًا ... والليلِ مِنْ مُسْدٍ إليكَ جَميلا!

أحملتَ طُغْيانَ اللئيمِ إذا اغْتَنَى ... أو نالَ مِنْ جاهِ الأمورِ قَليلا!

أحملتَ فى النادى الغَبِيَّ إذا التَقَى ... مِن سامِعِيه الحمدَ والتبجيلا!

تلك الحياةُ وهذه أثقالُها ... وُزِنَ الحديدُ بها فعادَ ضَئيلا!

غَانْدِى

« أنشأها تحية لغاندى الزعيم الهندى المشهور حين مروره بمصر سنة ١٩٣١ فى طريقه إلى مؤتمر المائدة المستديرة بلندن »

بَنِى مِصْرَ ارْفَعُوا الغـارَ　　وَحَيُّوا بَطَـلَ الْهِنْـدِ
وأدُّوا وَاجِباً وَاقْضُوا　　حُقُوقَ العَلَمِ الفَـرْدِ
أَخُوكُم فى الْمُقَاسَـاةِ　　وعِرْكِ الموقفِ النَّكْدِ
وفى التَّضْحِيَةِ الكبرى　　وفى الْمَطلب والجُهـد
وفى الجرح وفى الدَّمع　　وفى النَّفْيِ من الْمَهدِ
وفى الرِّحـلة للحقِّ　　وفى مَرْحَلَةِ الوَفـد
قِفُوا حَيُّـوه من قُربٍ　　على الفُلْك ومن بُعـد
وَغَطُّوا الـبَرَّ بالآسِ　　وغَـطُّوا البحرَ بالوردِ

＊ ＊ ＊

على إفريزِ (راجْبُوتا　　نَ)[1] تِمْثَالٌ من المجدِ
نَبِيٌّ مِثْلُ (كُونفشيُو　　سَ) أَوْ مِنْ ذلك العَهدِ
قريبُ القَوْلِ وَالْفِعـلِ　　من المنتظَرِ الْمَهدى

---

(١) الباخرة التى أقلت غاندى من الهند إلى لندن

شَبيهُ الرُّسْل فى الذودِ عن الحقّ وفى الزهْد
لَقد عَلّم بالحقّ وبالصبر وبالقَصْدِ
ونادى المشرقَ الأقصَى فلبّاه من اللحدِ
وجاءَ الأنفُسَ المَرضَى فداوَاها من الحِقْدِ
دَعا الهندوسَ والإسْلا م للألفةِ والوُدِّ
بسحرٍ من قوَى الروحِ حَوَى السَّيفَيْنِ فى غِمدِ
وسلطانٍ من النفسِ يُقوِّى رَائِضَ الأُسْدِ
وتَوْفيقٍ من اللهِ وتَيْسيرٍ من السَّعْدِ
وحَظٍّ لَيْس يُعْطَاهُ سِوَى المخلوقِ لِلْخُلْدِ
ولا يُؤْخَذُ بالحَوْلِ ولا الصَّوْلِ ولا الجُند
ولا بالنسلِ والمالِ ولا بالكدحِ والكدِّ
ولكن هِبَةُ المولى تعالى الله للعبد

* * *

سَلامُ النِّيلِ ياغَنْدِى وهذا الزهْرُ من عندى
وإجلالٌ من الأهْرا مِ والكَرْنكِ والبَرْدِى
ومن مَشْيَخَةِ الوادى ومن أشْبالِهِ المُرْدِ
سَلامٌ حالِبَ الشَّاةِ سَلامٌ غازلَ البُرْدِ
ومَنْ صَدَّ عن المِلح ولم يُقْبِل على الشُّهد

ومَنْ يَرْكب ساقيْهِ مِن الْهِنْدِ إلى السِّنْدِ!
سَلامٌ كُلَّمَا صلَّيْتَ عُرْياناً وفى اللِّبدِ
وفى زَاوِيةِ السجنِ وفى سِلْسِلَةِ الْقَيْدِ

* * *

مِنَ (الْمَائِدَةِ الْخَضْرَا ءِ)[1] خُذْ حِذْرَكَ ياغَنْدِى
ولاحظ ورق «السِّيرِ» ومافى ورق «اللورْدِ»
وكُنْ أبْرَعَ مَن يَلْعَبُ بالشِّطْرَنْجِ وَالنرْدِ
ولاقِ العبقريِّينَ لِقاءَ النِّدِّ لِلنِّدِّ
وقُل هاتوا أفاعيكم أتى الحاوى من الهند!
وعُدْ لم تحفِل الذَّامَ ولم تَغْتَرَّ بالحمدِ
فهذا النجمُ لا تَرْقَى إليهِ هِمَّةُ النقدِ
ورُدَّ الْهِنْدَ لِلأُمَّةِ من حدٍّ إلى حدِّ

---

(١) يشير إلى المؤتمر الذى كان مسافراً إليه للبحث فى دستور الهند

تَحِيَّةُ أَبُولُّو :

« أبولو : مجلة فنية لخدمة الشعر الحى ، كان يصدرها مرة فى كل شهر - فى سنة ١٩٣٢ - الدكتور أحمد زكى أبو شادى ، فقال يحييها » :

أَبُولُّو ، مَرْحَباً بكِ يا أبولو ... فإنكِ من عُكاظِ الشِّعرِ ظِلُّ

عُكاظُ وأنتِ للبُلغاءِ سُوقٌ ... على جَنَبَاتِها رحَلُوا وحَلوا

ويَنْبُوعٌ من الإنشادِ صافٍ ... صدى المتأدِّبين به يُبَلُّ

ومِضمارٌ يسوقُ إلى القوافى ... سَوابِقَها إذا الشُّعراء قَلُّوا

يقول الشِّعرَ قائلُهم رصيناً ... ويُحسِنُ حين يُكثِرُ أو يُقِلُّ

ولولا المُحسنونَ بكلِّ أرضٍ ... لما ساد الشُّعوبُ ولا استقلُّوا

* * *

عسى تأتِينَنا بمُعلَّقاتٍ ... تَرُوحُ على القديمِ بها نُدِل

لعلَّ مَواهباً خَفِيَتْ وضاعت ... تُذاعُ على يَديكِ وتُستَغَل

صحائِفُكِ المدبَّجةُ الحواشى ... رُبَى الوَرْدِ الْمُفتَّحِ أو أَجَلُّ

رياحينُ الرِّياضِ يُمَلُّ منها ... ورَيحانُ القرائحِ لا يُمَلُّ

يُمَهِّدُ عَبقرىُّ الشِّعرِ فيها ... لكلِّ ذخيرةٍ فيها مَحَلُّ

وليس الحق بالمنقوصِ فيها ... ولا الأعراضُ فيها تُستَحل

وليستْ بالمجالِ لِنَقْدِ باغٍ ... ورَاء يَرَاعِهِ حَسدٌ وغِل

أُغْنِيَة :

« نظمها بلبنان في صيف سنة ١٩٣١ لتغنيها إحدى القيان » :

بِي مِثْلُ ما بِكِ يا قُمْرِيَّةَ الوادِي نادَيتُ ليلى ، فقُومِي في الدُّجى نادي

وأَرْسِلي الشَّجْوَ أَسْجاعاً مُفصَّلَةً أو رَدِّدِي مِن وراءِ الأَيْكِ إنشادي

لا تَكْتُمِي الوَجْدَ، فالجُرْحانِ مِن شَجَنٍ ولا الصبابةَ ، فالدمعان من وَادِ

تَذَكَّرِي ! هل تَلاقَيْنا على ظَمَإٍ وكيف بلّ الصَّدَى ذُو الغُلّةِ الصَّادي

وأنتِ في مجلسِ الرَّيحانِ لاهيةٌ ما سِرْتِ من سامِرٍ إلا إلى نادي

تذكَّرِي قُبلَةً في الشَّعْرِ حائرةً أَضَلَّها فَمَشَتْ في فَرْقِكِ الهادي

وقُبْلَةً فوقَ خَدٍّ ناعمٍ عَطِرٍ أبهى من الوَرْدِ في ظِلّ النَّدَى الغادِي

تذَكَّرِي مَنْظَرَ الوادي ومجلِسَنا على الغديرِ كعُصفورَيْنِ في الوادي

والغُصْنُ يحْنُو علينا رِقةً وجَوًى والماءُ في قَدَمَيْنا رائحٌ غادِ

تذكري نَغَماتٍ هَهُنا وهُنا مِن لَحْنِ شادِيةٍ في الدَّوْحِ أو شادي

تذكري مَوْعِداً جادَ الزمانُ به هل طِرْتُ شَوْقاً وهل سابَقْتُ ميعادي؟

فنِلْتُ ما نِلْتُ من سُؤْلٍ ومن أملٍ ورُحتُ لم أُحْصِ أفراحي وأعيادي !

يا شراعاً وراء دجلة

« غناها بين يدى ملك العراق المغفور له فيصل الاول الموسيقار محمد عبد الوهاب بمناسبة زيارته لتلك البلاد فى سنة ١٩٣١ »

يا شراعاً وراءَ دِجْلَةَ يَجْرِى ... فى دُمُوعِى تجنَّبَتْكَ الْعَوادِى

سِرْ على الماءِ كالْمَسِيحِ رُوَيْدًا ... واْجرِ فى الْيَمِّ كالشعاعِ الهادى

وأْتِ قاعا كَرَفْرَفِ الخلْدِ طيبًا ... أو كفِرْدَوْسِهِ بَشاشةَ وادى

قِفْ تمهّلْ وخُذْ أمانًا لقلْبِي ... مِن عُيونِ الْمَهَا وراءَ السَّوادِ

والنَّواسِى والنَّدامى أمِنْهُمْ ... سَامِرٌ يَمْلأُ الدجى أو نادِ

خَطَرَتْ فَوْقَهُ المهارةُ تعدُو ... فى غُبارِ الآباءِ والأجدادِ

أُمَّةٌ تُنشئُ الحياةَ وتَبْنى ... كَبِناءِ الأُبوَّةِ الأمجادِ

تحتَ تاجٍ من القرابةِ والْمُلْكِ ... على فَرْقِ أرْيَحِيٍّ جَوادِ

ملكَ الشطِّ والفُراتينِ والبَطْ ... حاءِ أعْظِمْ بِفَيْصَلٍ والبِلادِ

الرَّجُلُ السَّعِيد (*)

« وهى ترجمة أبيات بالفرنسية عنوانها :

L' homme hereux

لسموالأمير حيدر فاضل »

عَفِيفُ الْجَهْرِ والْهَمْسِ ... قضى الواجِبَ بالأمْسِ

ولم يَعْرِضْ لِذِى حقٍّ ... بِنُقْصانٍ ولا بَخْسِ

وعِنْدَ النَاسِ مَجْهُولٌ ... وفى أَلْسُنِهِمْ مَنْسِى

وفيه رِقَّةُ الْقَلْبِ ... لآلامِ بَنِى الْجِنْسِ

فلا يَغْبِطُ ذا نُعْمى ... ويَرْثِى لأخِى البُؤْسِ

ولِلْمَحْرُومِ والعافى ... حَوَالَىْ زَادِهِ كُرْسِى

وما نَمٌّ ، ولا هَمٌّ ... بِبَعْضِ الْكَيْدِ والدَّسِّ

ينامُ الليلَ مَسْروراً ... قليلَ الْهَمِّ والْهَجْسِ

ويُصْبِحُ لاغُبارَ على ... سَرِيرَتِهِ ، كما يُمْسِى .

* * *

فيا أسعدَ منْ يَمْشى ... على الأرضِ مِنَ الإنْسِ

(*) نشرت فى مجلة الكشكول سنة ١٩٢٥

ومَنْ طَهَّرَهُ اللهُ من الريبَةِ والرِّجْسِ
أَنِلْ قَدْرِىَ تَشْرِيفاً وهَبْ لى قُرْبَكَ الْقدْسِى
عسى نَفْسُكَ أن تُدمَـ ـجَ فى أحلامِها نَفْسى
فألقَى بَعْضَ ما تَلْقَى من الغِبْطَةِ والأُنْسِ !



الأَثَر

وجدْتُ الحياةَ طريقَ الزُّمَرْ إلى بَعْثَةٍ وشُئُونٍ أُخَرْ

وما باطِلًا يَنْزِلُ النازلون ولا عَبَثًا يُزْمِعُونَ السَّفَرْ

فلا تَحْتَقِرْ عالَمًا أنتَ فيه ولا تَجْحَدِ الآخَرَ المُنْتَظَرْ

وخُذْ لكَ زَادَيْنِ: من سِيرَةٍ، ومِنْ عَمَلٍ صالِحٍ يُدَّخَرْ

وكن في الطريقِ عفيفَ الخُطَا شريفَ السَّماع كريمَ النَّظَرْ

ولا تَخْلُ من عَمَلٍ فوقَهُ تَعِشْ غيرَ عَبْدٍ ولا مُحْتَقَرْ

وكن رَجُلًا إن أتَوْا بَعْدَهُ، يقولون مَرَّ وهٰذا الأثَرْ

السَّتَّار

قَدَّمْتُ بين يدَىَّ نفْساً أَذْنَبَتْ

وأَتَيْتُ بَيْنَ الْخَوْفِ والإِقْرارِ

وجَعَلْتُ أَسْتُرُ عَنْ سِوَاكَ ذنُوبَها

حَتَّى عَيِيتُ فمَنْ لي بستَّارِ!

الخصوصيات

أَبُو عَلِي !

« قال عند ما بشر بابنه على شوقى » :

صارَ شَوْقى أبا على   فى الزمانِ « التَّرَلّى »

وجَنَاها جِنايةً   ليسَ فِيها بأوّلِ !

الزَّمَنُ الأخِير

« وقال فى ذلك أيضاً » :

عَلِى لو اسْتَشَرْتَ أباكَ قَبْلًا ! ... فإن الخيرَ حظُّ الْمُسْتَشِيرِ

إذاً لَعَلِمْتَ أَنَّا فى غَنَاءٍ ... وإنْ تَكُ مِن لقائِكَ فى سرورِ

وما ضِقْنا بِمَقْدَمِكَ الْمُفَدَّى ... ولكنْ جِئتَ فى الزَّمَنِ الأخيرِ !

صاحِبُ عهْدِهِ :

« وقال أيضاً » :

رُزِقْتُ صاحِبَ عَهْدِي وتمَّ لِي النَّسْلُ بَعْدِي

هُمْ يَحْسُدُونِي عليْهِ وَيَغْبِطُونِي بِسَعْدِي

ولا أرَانِي ونجْلِي سَنَلْتقِي عندَ مَجْدِ

وسَوْفَ يعْلَمُ بَيْتِي أنِّي أنا النَّسْلُ وَحْدِي !

فيا عَلِي لا تلُمْنِي فما آحْتِقارُكَ قَصْدِي

وأنتَ مِنِّي كرُوحِي وأنتَ مَنْ أنتَ عِنْدِي

فإنْ أساءَكَ قوْلِي كَذِّبْ أباكَ بوَعْدِ !

يا لَيْلَةً !

« وكانت ولادة بنته أمينة ووفاة والده فى ساعة واحدة ، فقال فى ذلك » :

يا لَيْلَةً سَمَّيْتُهَا لَيْلَتِى ... لأنَّهَا بالنَّاسِ ما مَرَّتِ

أَذْكُرُها والموتُ فى ذِكْرِها ... على سبيلِ البَثِّ والعِبْرَةِ

لِيَعْلَمَ الغافِلُ ما أَمْسُهُ ... ما يومُهُ ما مُنْتَهَى العِيشَةِ

نَبَّهَنِى المقدورُ فى جُنْحِها ... وكنتُ بينَ النَّوْمِ واليَقْظَةِ

الموتُ عَجْلانُ إلى والدِى ... والوَضْعُ مُسْتَعْصٍ على زوْجَتِى

هذا فتًى يُبْكَى على مِثْلِهِ ... وهذهِ فى أوَّلِ النَّشْأَةِ

وتلكَ فى مِصْرَ على حالِها ... وذاكَ رَهْنُ المَوتِ والغُرْبَةِ

والقلبُ ما بَيْنَهُما حائرٌ ... مِن بَلْدَةٍ أسْرِى إلى بَلْدَةِ

حتى بَدا الصُّبحُ فوَلَّى أبى ... وأَقْبَلَتْ بعْدَ العَنَاءِ ابْنَتِى

فقُلْتُ أحكامُكَ حِرْنا لها ... يا مُخْرِجَ الحيِّ منَ المَيِّتِ !

أمينة :

« وقال حين اكتملت بنته حولا يصفها في هذا العمر » :

أمينتى فى عامِها الأوَّلِ مِثْـلُ الْمَلَكِ
صالحةٌ للحُبِّ مِنْ كلٍّ وللتَّبَرُّكِ
كم خَفَقَ القلبُ لها عِنْدَ الْبُكا والضَّحِكِ
وكم رَعَتْها الْعَيْنُ فى السُّكونِ والتَّحَرُّكِ
فإن مَشَتْ لخاطِرى يَسْبِقُها كالْمُمْسِكِ
ألْحَظُها كأنها مِن بصَرِى فى شَرَكِ
فياجَبينَ السَّعْدِ لى ويا عيُونَ الفَلَكِ
ويا بَيَاضَ الْعَيْشِ فى الأيَّامِ ذاتِ الحَلَكِ
إنَّ اللَّيالى وهْىَ لا تَنْفَكُّ حَرْبَ أَهْلِكِ
لو أنصفَتْكِ طِفْلَةً لكنْتِ بنْتَ الْمَلِكِ !

طفـــلة لاهية !

« وقال يهنئها بسنتها الثانيـــة » :

أمينـــةُ يا بِنْتِيَ الغالِيَـهْ أُهَنِّيــكِ بالسَّنَةِ الثَّـانِيـهْ
وأسـأَلُ أَنْ تَسْلَمِي لِي السنينَ وأَنْ ترْزَقِي الْعَقْلَ والعَافِيَهْ
وأَنْ تُقْسَمي لأبَرِّ الرِّجالِ وأَنْ تَـلِدِى الأنْفُسَ العالِيَهْ
ولكِنْ سأَلْتُكِ بالوالِدَيْنِ ونَاشَـدْتك اللَّعَبَ الغَـالِيَهْ !
أَتَدْرِينَ ماَمَرَّ مِن حادثٍ وما كان فى السَّنةِ الماضِيَـهْ !
وكم بُلْتِ فى حُلَـلٍ مِن حَرِيرٍ وكم قَدْ كَسَرْتِ مِنَ الآنِيَه !
وكم سَهِرَتْ فى رِضاكِ الجُفُونُ وأنتِ عَلَى غَضَبٍ غافِيَـهْ !
وكم قد خَلَتْ مِنْ أبيكِ الجيُوبُ ولَيْسَتْ جُيُوبُكِ بالخالِيَـهْ !
وكم قدْ شكا الْمُرَّ من عَيْشِه وأنْتِ وحَـلْواكِ فى ناحِيَهْ !
وكم قـدْ مَرِضْتِ فأسْقَمْتِـه وقُمْتِ فكُنْتِ له شافِيَهْ !
ويَضْحَكُ إنْ جِئْتِه تَضْحَكِينَ ويَبْكى إذا جِئْتِه باكِيَـهْ !
ومِنْ عَجَبٍ مَرَّتِ الحادِثاتُ وأنتِ لأحْداثِهـا ناسِيَـهْ !
فلَوْ حَسَدَتْ مُهْجَةٌ وِلْدَها حَسَدْتُكِ من طِفـلة لاهِيَهْ !

الأَنانِيَّـــة !

« ونظم هذه الحكاية فيها وفى كلب لها أسود صغير » :

يا حَبَّــذَا أَمِينَةٌ وكَلبُها　　تُحِبُّــهُ جِــدا كما يُحِبُّها

أَمِينَتِى تَحْبُو إلى الحَوْلَيْنِ　　وكَلْبُها يُنــاهِزُ الشَّهْرَيْنِ

لٰكِنَّها بَيْضاءُ مِثْلُ العَاجِ　　وعَبْــدُها أَسْوَدُ كالدَّيَاجِى

يَلْزَمُهــا نَهــارَهَا وتَــلْزَمُهْ　　ومِثْلَما يُكْرِمُها لا تُكْرِمُهْ !

فعِنْدَها من شِدَّةِ الإشْفاقِ　　أن تأْخُذَ الصَّغيرَ بالخِنَــاقِ

فى كلِّ ساعة له صِياحُ　　وَقلمــا يَنْعَمُ أو يَرْتاحُ

وهٰـذِهِ حادِثَةٌ لهــا مَعَــهْ　　تُنْبِيكَ كيفَ اسْتأْثَرَتْ بالمَنْفَعَهْ :

جاءتْ به إلَىَّ ذاتَ مَرَّهْ　　تَحْمِــلُهُ وهْىَ بِهِ كالْـبَرَّهْ

فقُلتُ أهلا بالعَرُوسِ وابْنِها　　ماذا يكونُ ياتُرَى من شأْنِها !

قالتْ : « غلامى يا أبِى جَوْعانُ　　وما لهُ كما لنَــا لِسَانُ

فَمُرْهُمُو يَأْتُوا بخُبْزٍ ولَــبَنْ　　ويُحْضِرُوا آنِيــةً ذاتَ ثَمَنْ ! »

فقُمتُ كالعادةِ بالمطلوبِ　　وجِئْتُها أَنْظُرُ مِن قَرِيبِ

فعَجَنَتْ فى اللَّــبَنِ اللُّبَابَا　　كما تَرَانا نُطْعِــمُ الكِلابا

ثم أرادتْ أن تَذُوقَ قَبْلَهْ فاسْتَطْعَمَتْ بنتُ الكِرامِ أَكْلَهْ !

هُناكَ أَلْقَتْ بالصَّغيرِ لِلْوَرا واندَفَعَتْ تَبْكي بُكاءً مُفْتَرَى

تقُول: بابا أنا (دَحّا) وهوَ (كَخْ) مَعْناهُ: بابا لِيَ وَحْدِي ما طُبِخْ !

فقلْ لمنْ يَجْهَل خَطْبَ الآنِيَهْ قد فُطِرَ الطِّفْلُ على الأنانِيَهْ !

لُعْبَـــة !

(وقال فيما ينفع أمينة من اللعب وأشار إلى رأس السنة الميلادية الذى يكثر فيه بيعها)

صِغارٌ بحُلْوَانِـــــ تَسْتَبْشِرُ ورُؤْيَتُها الفَرَحُ الأكْبَرُ
تَهُزّ اللِّـواءَ بِعيدِ المَسِيحِ وتُحْيِيهِ مِنْ حيثُ لا تَشْعُرُ
فهٰـذا بِلُعبَتِـه يَزْدَهِي وهـذا بحُلَّتِهِ يَفْخَـرُ
وهذا كغُصْنِ الرُّبا يَنْثَنِي وهذا كرِيحِ الصَّبَا يَخْطِرُ
إذا اجْتَمَعَ الكلُّ فى بُقْعةٍ حَسِبْتَهُمو باقَةً تُزْهِـرُ
أوِ افْـترقوا واحداً واحِداً حَسِبْتَهُمو لؤْلؤاً يُنْـثَرُ
ومِنْ عَجَبٍ مِنْهُمو المسلِمُونَ أوِ المسلمونَ هُمُ الأكْثَرُ
فَلاسِفةٌ كلُّهُمْ فى اتِّفـاقٍ كما اتَّفَـقَ الآلُ والمَعْشَرُ
دِسَمْبِرُ شعْبانُ عنـد الجميعِ وشَعْبـانُ لِلْكلِّ دِيسَمْبِرُ
ولا لُغَةٌ غيرُ صَوْتٍ شَجِيٍّ كرَوْضٍ بَلابِـلُهُ تَصْفِرُ
ولا يَزْدَرِي بالفقيرِ الغَنِيُّ ولا يُنْـكِرُ الأبيَضَ الأسْمَرُ
فيالَيتَ شِعْرى أَضَلَّ الصِغارُ أمِ العَقْلُ ماعنْهُمو يُؤْثَرُ ؟
سُؤالٌ أُقَدِّمُهُ للكِبارِ لعَـلَّ الكِبارَ به أَخْبَرُ

❊ ❊ ❊

ولى طِفلةٌ جازَتِ السِّتَّتيْنِ كبعْضِ الملائِكِ أوْ أطْهَرُ
بعَيْنينِ فى مِثلِ لَوْنِ السَّماءِ وسِنَّيْنِ ياحبَّذا الجوْهَرُ
أتَتْنِيَ تسأَلُنى لُعبَةً أتكْسِرُها ضِمْنَ ماتكْسِرُ
فقلتُ لها أيُّهذا الملاكُ تحِبُّ السَّلامَ ولا أُنكِرُ
ولكنَّ قبلَكَ خابَ المَسيحُ وباءَ بمَنْشُورِهِ القَيْصَرُ
فلا تَرْجُ سِلْماً مِنَ العالمِينَ فإنَّ السِّباعَ كما تُفْطَرُ
ومَنْ يَعْدَمِ الظُّفْرَ بينَ الذِّئابِ فإنَّ الذئابَ به تَظْفَرُ !
فإنْ شِئْتَ تحْيَا حياةَ الكِبار يؤمِّلُكَ الكلُّ أو يَحْذَرُ ...
... تخِذْ هاكَ (بُنْدُقَةً) نارُها سلامٌ عليكَ إذا تُسْعَرُ
لعلَّكَ تأْلفُها فى الصِّبا وتحلفُها كُلَّما تَكْبَرُ
ففيها الحياةُ لمنْ حازَها وفيها السّعادةُ والمَفْخَرُ
وفيها السلامُ الوَطِيدُ البِناءِ لمن آثَرَ السِّلْمَ أو يُؤْثِرُ
فلوييلُ تُمْسِكُهُ مَوْزَراً ولوييلُ تُمسِكُها مَوْزَرُ[١]

❊ ❊ ❊

أجابَتْ وما النُّطْقُ فى وُسْعِها ولٰكنَّها العَيْنُ قد تُخْبِرُ

---

(١) لوييل : اسم تدلل به أمينة ، وموزر : نوع من البنادق سريع الطلقات كان له شهرة قبل الحرب الحاضرة

تقول : عَجيبٌ كلامُـكَ لى   أبِالشّـرِّ ياوالِدِى تأمُرُ !
تَزينُ لِبنْتِكَ حبَّ الحُروبِ   وحُبُّ السلامِ بهـا أجْدَرُ !
وأنتَ امرؤ لاتُحبُّ الأذى   ولا تَبتغيـــه ولا تأمُرُ !

* * *

فقلتُ : لأمرٍ ضَلَلْت السبيلَ   وربَّ أخى ضَـلّةٍ يُعْذَرُ
فلو جِيءَ بالرسْل فى واحدٍ   وبالـكُتْبِ فى صفحةٍ تُنْشَرُ ،
وبالأوّلِــين وما قدّموا   وبالآخِرينَ وما أخّروا ؛
لينْهَضَ مابينهمْ خاطِباً   على العَرشِ نُصَّ له مِنْبَرُ ،
يقولُ : «السلامُ» يُحِبُّ السلامَ   ويأجُرُكم عنه ما يَأجُرُ . . .
. . . لَصُمّ العبادُ فلم يسمَعوا   وكُفَّ العِبادُ فَـلمْ يُبْصِرُوا

أَوَّلُ خَطْوَة

«وقال يذكر دخول ولده عليّ في السنة الثانية من عمره»:

هٰذِهِ أَوَّلُ خَطْوَهْ هَذِه أَوَّلُ كَبْوَهْ
فى طريقى لِعَلِيّ عنْهُ لوْ يَعْقِلُ غُنْوَهْ[1]
يأْخُذُ العِيشَةَ فِيه مُرَّةً آناً وحُلْوَهْ
يا علِى إن أنتَ أَوْفَيْـ ـتَ على سِنِّ الْفُتُوَّهْ
دافِع الناسَ وزَاحِمْ وخُذِ الْعَيْشَ بقُوَّهْ
لا تقُلْ: كان أبى! إيَّـاكَ أن تحْذُوَ حذْوَهْ!
أنا لم أَغْنَمْ من النا سِ سوى فِنْجانِ قَهْوَهْ!
أنا لمْ أُجْزَ عن الْمَدْ حِ من الأمْلاكِ فَرْوَهْ!
أنا لم أُجزَ عن الْكُتْـبِ مِنَ الْقُرَّاءِ حُظْوَهْ!
ضَيَّعَ الْكُلُّ حيَاتِى وعفَافِى والْمُرُوَّهْ!

(1) الغنوة: الغنى؛ يقول: هو فى غنى عن سلوك طريقى

يومُ فِراقِه !

« وقال وقد بكى طفلاه وتشبثا به ألا يخرج » :

بكيا لأجْلِ خُرُوجِهِ في زَوْرَةٍ

يا ليْتَ شِعْرِي كيفَ يومُ فِرَاقِهِ !

لو كانَ يَسْمَعُ يَوْمَذاكَ بُكاهُمَا

رُدَّتْ إليهِ الرُّوحُ مِن إشفاقِهِ !

مَظْلُوم !

« وكتب إلى عزيزه وظهيره صاحب العطوفة المرحوم أحمد مظلوم باشا من باريز يهنئه بالنشان المجيدى الأول » :

أقْسَمْتُ لَوْ أَمَرَ الزّمانُ سَمَاءَهُ
فَسَعَتْ لِصَدْرِكَ شَمْسُهَا ونُجومُها

لِيُنِيلَ قَدْرَكَ فى المعالى حَقَّهُ
شَكَتِ المعَالى أنَّهُ مَظْلومُها !

سَرَّنَا أَنَّكَ ارْتَقَيْتَ

«وبعث من باريز بهذا التاريخ إلى صاحب السعادة محمود شكري باشا يهنئه برتبة المتمايز» :

يا عزيزاً لنا بمصرَ علِمْنا — أنَّهُ بالرِّضا الْخِدِيوِيِّ فائِزْ

سَرَّنا أنَّكَ ارْتَقَيْتَ وتَرْقى — فكأنَّا نحُوزُ ما أنتَ حائِزْ

رُتْبَةَ السُّنُ الْمُلا أرَّخْتُها — أنتَ محمُودُ في الْعُلا الْمُتَمايِزْ

١٩٠٣

بَلَّغْتَنِى أَمَلاً

«وقال يشكر صاحب العطوفة المرحوم أحمد مظلوم باشا على معروف صنعه معه»:

ذِى هِمَّةٍ دُونَها فى شَأْوِها الهِمَمُ ... لم تَتَّخِذْ «لا» ولم تَكْذِبْ لها «نعم»

بلَّغْتَنِى أَمَلًا ما كُنْتُ بالِغَهُ ... لولا وفاؤُكَ يامظلومُ والكَرَمُ

وِدَادُكَ العِزُّ والنُّعْمَى لخاطِبِه ... وودُّ غيرِكَ ضحْكُ السِّنِّ والكَلِمُ

أَكُلَّمَا قَعَدَتْ بِى عنْك مَعْذِرَةٌ ... مشَتْ إلى الأيادِى مِنْكَ والنِّعَمُ

تُجِلُّ فى قَلَمِ الأوطانِ حامِلَهُ ... فكَيْفَ يَصبِرُ عَنْ إجْلالِكَ القَلَمُ؟

أُصِيبَ المجدُ يومَ أُصِبْتَ!

«وكتب إلى صديقه المفضال سعادة المرحوم إسماعيل باشا صبري يهنئه بالسلامة على أثر حادثة فى القطار»:

أَتَتْنِى الصُّحْفُ عَنْكَ مُخَبِّرَاتٍ   بِحَادِثَةٍ ولا كالْحَادِثاتِ

بِخَطْبِكَ فى الْقِطَارِ أبا حُسَيْنٍ   ولَيْسَ مِنَ الْخُطُوبِ الْهَيِّنَاتِ

أُصِيبَ الْمَجْدُ يومَ أُصِبْتَ فِيهِ   ولَمْ تَخْلُ الْفَضِيلَةُ مِنْ شَكَاةِ

وساءَ النّاسَ أنْ كَبَتِ المعَالى   وأَزْعَجَهُمْ عِثَارُ الْمَكْرُماتِ

ولَسْتُ بِنَاسٍ الآدابَ لَمَّا   تَرَامَتْ رَبَّهَا مُتَلَهِّفَاتِ

وكانَ الشِّعْرُ أجْزَعَها فُؤاداً   وأَحْرَصَها لَدَيْكَ على حَيَاةِ

هَجَرْتَ الْقَوْلَ أيَّاماً قِصاراً   فكانَتْ فَتْرَةً لِلْمُعْجِزَاتِ

وإنَّ لَيَالِياً أَمْسَكْتَ فيها   لَسُودٌ لِلْيَرَاعِ ولِلدَّواةِ!

فَقُلْ لِى عَنْ رُضُوضِكَ كيفَ أمْسَتْ   فَقَلْبِى فى رُضُوضٍ مُؤْلِمَاتِ

وَهَبْ لى مِنْكَ خَطًّا أوْ رَسُولاً   يُبَلِّغُ عَنْكَ كُلَّ الطَّيِّبَاتِ!

سألتك بالوداد

« وكتب إلى سعادته يهنئه بتعيينه وكيلا لنظارة الحقانية » :

سألتُكَ بالوِدادِ أبا حُسَيْنٍ ... وبالذِّمَمِ السَّوالِفِ والعُهُودِ

وحُبٍّ كامِنٍ لَكَ فى فُؤادى ... وآخَرَ فى فُؤادِكَ لى أكيدِ

أحقٌّ أنْ مَطْوِىَّ الليالى ... سَيُنْشَرُ بَيْنَ (أَحْمَدَ) و(الوَليدِ)[1]

وأنَّ مناهِلاً كُنَّا لَدَيْها ... سَتَدْنُو لِلتَّأَنُّسِ والوُرُودِ

قُدُومُكَ فى رُقِيِّكَ فى نَصِيبِى ... سُعودٌ فى سُعودٍ فى سُعودِ

وَفَدْتَ على رُبُوعِكَ غِبَّ نَأْيٍ ... وكُنْتَ البَدْرَ مأمُولَ الوُفودِ

لَئِنْ رَفَعُوكَ مَنْزِلَةً فأعْلَى ... لَقَدْ خُلِقَ الأهِلَّةُ لِلصُّعُودِ

وأُقْسِمُ ما لِرِفْعَتِكَ انْتِهاءٌ ... ولا فِيها احتِمالٌ لِلْمَزيدِ!

---

(١) أحمد والوليد : المتنبي والبحترى

اهْنَأْ أَخِي !

« وكتب إلى صديقه الفاضل صاحب العزة حمزة بك فهمى يهنئه برتبة المتمايز الرفيعة » :

قالوا « تَمَايَزَ » حَمْـــزَةُ ... قُلتُ « اَلتَّمَايُزُ » مِنْ قَدِيمِ

لَوْ لَمْ يَمِيزُوهُ بِهَا ... لاَمْتَازَ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ

رُتَبٌ كَرَائِمُ فِى الْعُلا ... وُجِّهْنَ مِنْكَ إلى كَرِيمِ

فَاهْنَأْ أَخِي بِوُفُودِهَا ... وَتَلَقَّ تَهْنِئَةَ الْحَمِيمِ

وارْقَ الْمَنَازِلَ كُلَّهَا ... حَتَّى تُنِيفَ على النُّجُومِ !

يا نَصيب !

« وقال يعابث صديقه الشاعر خليل بك مطران وقد جاءه أنه ربح ربحاً » :

لقَدْ وَافَتْنِيَ البُشْرَى ... وأُنْبِئْتُ بمَا سَرَّا

وقالُوا عَنْكَ لى أَمْسِ ... رَبِحْتَ النِّمْرَةَ الكبْرى

فيا مُطْرَانُ ما أَوْلَى ... ويا مُطْرَانُ ما أَحْرى

لقَدْ أَقْبَلَتِ الدنيا ... فلا تجْزَعْ على الأُخرى

أَخَذْتَ الصِّفْرَ باليُمْنَى ... وكان الصِّفْرُ باليُسْرى

وكانت فِضَّة بِيضاً ... فصارتْ ذَهَباً صُفْرا

وقال البَعْضُ أَلْفَيْنِ ... وقالوا فَوْقَ ذا قَدْرَا !

الْمُــــدَامَة !

« وقال عن بعض شعراء الترك » :

كُنْ في التَّوَاضُعِ كالْمُدَا
مَةِ حِينَ تُجْــلَى في الكُئُوسْ
مَشَتِ اتِّئَاداً في الصُّــدُو
رِ فَحَكَّمُوها في الرءوسْ !

تَارِيخ !

« وقال يؤرخ ديوانه الأول ـ الشوقيات ـ
وقد صدر فى سنة ١٣١٧ هـ » :

وجَنَّاتٍ مِنَ الأشعارِ فِيها
جَنًى لِلمُجْتَنِى مِنْ كلِّ ذَوْقِ
تأَمَّلْ كَمْ تَمَنَّوْها وأَرِّخْ
لِشَوْقِيَّاتِ أَحْمَدَ أَىَّ شَوْقِ
١٣١٧

أَلْيَقُ دِيوانٍ ظَهَرَ !

« وقال يؤرخ الشوقيات أيضاً » :

مَجْمُوعَةٌ لأَحْمَدِ مُعْجِزَةٌ فِيهَا بَهَرْ
تُعَدُّ فى تاريخها أَلْيَقَ دِيوانٍ ظَهَرْ !

١٣١٧

الحكايات

أَنْتَ وَأَنَا !

يَحْكُونَ أَنَّ رَجُلًا كُرْدِيًّا كانَ عظيمَ الجسمِ هَمْشَرِيًّا

وكان يُلْقِى الرُّعْبَ فى القُلُوبِ بكَثْرَةِ السِّلاحِ فى الجُيُوبِ

ويُفْـزِعُ اليَهُودَ والنَّصارَى ويَرْعَبُ الكِبارَ والصِّغَارَا

وكُلَّما مَرَّ هُنـاك وهُنـا يَصيحُ بالناسِ : أَنا ! أَنا ! أَنا !

نَمَى حـديثُه إلى صَبِيِّ صغيرِ جسمٍ بَطلٍ قَوِىّْ

لا يَعْرِفُ النـاسُ له الفُتُوَّهْ وليس مِمَّنْ يَدَّعُون القُوَّهْ

فقالَ لِلقَـوْمِ سأُدْرِيكم به فتَعلَمُونَ صِدْقَهْ من كِذْبِهِ

وسارَ نحوَ الهَمْشَرِىِّ فى عَجَلْ والناسُ مما سيكونُ فى وَجَلْ

ومَدَّ نحْوَه يَميناً قاسِيَهْ بضرْبةٍ كادَتْ تكونُ القاضِيَهْ

فلمْ يُحرِّكْ ساكِناً ولا آرْتبَكْ ولا آنتهَى عن زَعْمِه ولا تَرَكْ

بلْ قالَ للغالِبِ قوْلًا لَيِّنـا : الآنَ صِرْنا آثنَيْنِ : أنتَ وأَنَا !

نَديمُ البَاذنجَان !

كان لِسُلْطانٍ نديمٌ وافِ يُعيدُ ماقال بِلا آختلافِ
وقد يَزِيدُ فى الثَّنا عليهِ إذا رأى شيئاً حَلا لَدَيْهِ !
وكان مَوْلاهُ يَرى ويَعْلَمُ ويَسمعُ التَّمْليقَ لكنْ يَكْتُمُ
فجلَسا يوماً على الخِوانِ وجِىءَ فى الأكل بباذِنْجَانِ
فأَكَلَ السُّلْطانُ مِنْه ماأكلْ وقالَ: هذا فى المَذَاقِ كالعَسَلْ !
قالَ النَّديمُ: صَدقَ السُّلطانُ، لا يَسْتوِى شُهْدٌ وباذِنْجَانُ
هٰذا الَّذِى غَنَّى به «الرَّئِيسُ»[1] وقال فيه الشِّعْرَ «جالِينُوسُ»
يُذْهِبُ ألْفَ عِلَّةٍ وعِلَّهْ ويُبْرِدُ الصَّدْرَ ويَشْفِى الغُلَّهْ!
قالَ: ولٰكِنْ عِنْده مَرَارَهْ وما حَمِدْتُ مرَّةً آثارَهْ!
قالَ: نَعَمْ مُرٌّ وهٰذا عَيْبُه مُذْ كنتُ يامَوْلاىَ لاأُحِبُّه!
هٰذا الذى ماتَ به «بُقْراطُ» وسُمَّ فى الكأْسِ به «سُقْراطُ»!
فالْتفَتَ السُّلطان فيمَنْ حولَهْ وقال: كيفَ تجِدُونَ قولَهْ ؟
قال النَّدِيمُ: يامَلِيكَ النَّاسِ عُذْراً فما فى فَعْلَتِى مِن بأْسِ
جُعِلْتُ كَىْ أُنادِمَ السُّلْطانا ولمْ أُنادِمْ قَطُّ باذِنْجَانَا !

---

(١) الرئيس : ابن سينا

ضِيافةُ قطّـــة (*)!

لستُ بناسٍ ليلةً　　مِنْ رمضانَ مرّتِ

تطاولتْ مثلَ ليا　　لي القُطْبِ واكفهرّتِ

إذِ انفلتُّ من سحو　　رِي فدخلتُ حجرتي

أنظرُ في ديوانِ شعْـ　　ـرٍ أو كتابِ سيرةِ

فلمْ يرُعْني غيرُ صوْ　　تٍ كمُواءِ الهِرّةِ

فقمتُ ألقي السمعَ في الستورِ　　والأسِرّةِ

حتّى ظفرتُ بالتي　　علَيَّ قدْ تجرّتِ

فمذْ بدتْ لي والتقتْ　　نظرتُها ونظرتي

عادَ رمادُ لحظِها　　مثلَ بصيصِ الجمْرةِ

وردّدتْ فحيحَها　　كحنَشٍ بقفْرةِ

ولبِستْ لي مِنْ ورا　　ءِ السترِ جِلْدَ النمْرةِ

كرّتْ، ولكنْ كالجبا　　نِ قاعداً، وفرّتِ

وانتفضتْ شواربًا　　عنْ مثلِ بيتِ الإبْرةِ

ورفعتْ كفًّا وشا　　لتْ ذنباً كالمِذْرةِ

(*) نشرت في سنة ١٩٢٩

ثمَّ ٱرْتَقَتْ عن الْمُوَا ءِ فَعَوَتْ وَهَرَّتِ
لم أَجْزِها بِشرَّةٍ عن غضبٍ وشرَّة
ولا غَبِيتُ ضَعْفَها ولا نَسِيتُ قُدْرَتِى
ولا رأيتُ غَيْرَ أُمٍّ بالبَنِينَ بَرَّةِ
رأيتُ ما يَعْطِفُ نَفْسَ شاعرٍ مِن صورةِ
رأيتُ جِدَّ الأُمَّهاتِ فى بِناءِ الأُسْرَةِ
فلمْ أَزَلْ حتّى ٱطْمَأَنَّ جأشُها وقَرَّتِ
أَتَيْتُها بِشَرْبَةٍ وجِئْتُها بِكِسْرَةِ
وصُنْتُها مِن جانِبَيْ مَرْقَدِها بِسُتْرَتِى
وزِدْتُها الدِّفْءَ فقَرَّبْتُ لها مِجْمَرَتِى
ولو وَجَدْتُ مِصْيَداً لَجِئْتُها بِفأرَةِ !
فاضْطجعَتْ تحتَ ظِلالِ الأَمْنِ وٱسْبَطَرَّتِ
وقَرَأَتْ أَوْرادَها وما دَرَتْ ما قَرَتِ
وسَرَحَ الصِّغارُ فى ثُدِيِّها فَدَرَّتِ
عُرْىٌ نجومٍ سُبَّحٌ فى جَنَباتِ السُّرَّةِ
ٱخْتَلَطُوا وعِيشُوا كالْعُمْى حَوْلَ سُفْرَةِ

تُحْسَبُهم ضَفَادِعاً أَرْسَلْتَهَا في جَرَّةِ

وقلتُ لا بأسَ على طِفْلِكِ ياجُوَيْرَتي

تَمَخَّضِي عن خَمْسَةٍ إنْ شِئْتِ أو عنْ عَشْرَةِ

أنتِ وأولادُكِ حتـ ـى يَكْبَرُوا في خفرتي

الْبَلَابِلُ الَّتِي رَبَّاهَا الْبُومُ

أُنبئتَ أنَّ سُلَيمانَ الزّمانِ ومَنْ	أَصبَى الطُّيورَ فنَاجَتْهُ وناجاها
أَعطَى بَلابلَهُ يوماً ، يُؤَدِّبُها	لِحُرْمَةٍ عِنْدَهُ ، لِلْبُومِ يَرْعاها
وآشْتاقَ يوْماً مِنَ الأيامِ رُؤْيَتَهَا	فأَقْبلَتْ وهي أَعْصَى الطّيْرِ أَفْواها
أَصابَها العِيُّ حتى لا اقْتِدارَ لها	بأنْ تَبُثَّ نَبيَّ اللهِ شَكْواها
فنالَ سيّدَها من دائها غَضَبٌ	وودَّ لوْ أنَّهُ بالذَّبْحِ داواها
فجاءَه الهُدْهُدُ المَعْهودُ مُعْتَذِراً	عَنْها يقولُ لِمَوْلاهُ ومَوْلاها :
بَلابِلُ اللهِ لمْ تَخْرَسْ ولا وُلِدَتْ	خُرْساً ولكِنّ بُومَ الشُّؤْمِ رَبَّاها !

الدِّيكُ الْهِنْدِيُّ وَالدَّجَاجُ الْبَلَدِيّ

بَيْنَا ضِعَافٌ مِنْ دَجاجِ الرِّيفِ تَخْطِرُ فِى بَيْتٍ لَها ظَرِيفِ
إِذْ جاءَها هِنْدِى كَبِيرُ الْعُرْفِ فَقَامَ فِى الْبابِ قِيامَ الضَّيْفِ
يقولُ حيَّا اللهُ ذِي الْوُجُوهـا ولا أراها أبداً مَكْرُوها!
أَتَيْتُكُمْ أَنْشُرُ فِيكم فَضْلِى يوماً وأقضِى بينَكُمْ بالعـدْلِ
وكلُّ ما عِنْدَكُم حَـرامُ علىَّ إلا الماءُ والْمَنَامُ
فعاوَدَ الدَّجاجَ داءُ الطَّيْشِ وفتَحتْ لِلْعِلْجِ بَابَ الْعُشِّ
فجالَ فيهِ جَوْلَةَ الْمَلِيكِ يدْعُو لِكلِّ فَرْخَةٍ ودِيكِ
وباتَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ السَّعِيدَهْ مُمَتَّعاً بدَارِهِ الْجَدِيدَهْ
وباتتِ الدَّجاجُ فى أمانِ تَحْلُمُ بالذِّلَّةِ والْهَوَانِ
حتى إذا تَهَلَّلَ الصَّباحُ واقْتَبَسَتْ مِنْ نُورِهِ الأشْبَاحُ
صاحَ بها صاحِبُها الْفَصِيحُ يقولُ دامَ مَنْزِلى الْمَلِيحُ!
فانْتَبَهتْ مِن نَوْمِهَا الْمَشْئُومِ مَذْعُورَةً مِنْ صَيْحَةِ الْغَشُومِ
تقولُ ما تِلْكَ الشُّرُوطُ بينَنَا غَدَرْتَنَا واللهِ غَدْراً بيِّنَا!
فَضَحِكَ الْهِنْدِيُّ حتى آسْتَلْقَى وقال ماهٰذا الْعَمَى يا حَمْقَى!
متى ملَكْتُمْ أَلْسُنَ الأربابِ قد كان هذا قبْلَ فَتْحِ البابِ!

الْعصفورُ والْغدِيرُ الْمهجور

أَلَمَّ عُصْفورٌ بمَجْرًى صافِ	قدْ غابَ تحتَ الْغابِ فى الألفافِ
يَسْقِي الثَّرى مِنْ حيثُ لا يدرِي الثَّرى	خَشْيَةَ أَنْ يُسْمَعَ عنهُ أو يُرَى
فاعْترَفَ الْعُصْفورُ مِنْ إحْسانِهِ	وحَرَّكَ الصَّنِيعُ مِنْ لِسانِهِ
فقالَ يانورَ عُيُونِ الأرْضِ	ومُخْجِلَ الْكوْثَرِ يومَ الْعَرْضِ
هلْ لَكَ فى أنْ أُرْشِدَ الإنسانا	لِيَعْرِفَ المكانَ والإمْكانا
فيَنْظُرَ الْخَيْرَ الّذِى نَظَرْتُ	ويشكرَ الْفضلَ كما شكرْتُ
لعلَّ أنْ تُشْهَرَ بالْجَمِيلِ	وتُنْسِيَ النّاسَ حديثَ النِّيلِ ؟
فالْتفَتَ الْغدِيرُ بالْعُصفُورِ	وقالَ يَهْذِى مُهْجَةَ الْمَغْرُورِ
ياأَيُّها الشّاكِرُ دُونَ الْعالَمِ	أَمَنّكَ اللهُ يدَ ابْنِ آدَمِ !
النِّيلُ فاسْمَعْ وافْهَمِ الْحدِيثا	يُعْطِى ولكنْ يأْخُذُ الْخَبِيثا !
مِنْ طُولِ ماأَبْصَرَهُ النّاسُ نُسِى	وصارَ كلُّ الذِّكْرِ لِلْمُهَنْدِسِ
وهكذا الْعَهْدُ بِوُدِّ النّاسِ	وقِيمَةُ الْمُحْسِنِ عنْدَ النّاسِ
وقد عَرَفتَ حالَتِى وضِدَّها	فقُلْ لِمَنْ يَسْأَلُ عَنِّى بَعْدَها
إنْ خَفِيَ النّافِعُ فالنَّفْعُ ظَهَرْ	ياسَعْدَ مَنْ صافَى وصُوفِي واسْتَتَرْ !

الأفعى النيلية والعقربة الهندية

وهــذه واقعة مُستغربه — في هَوَسِ الأفعى وخُبثِ العَقربه
رأيتُ أفعى من بناتِ النيلِ — مُعجَبةً بقـدها الجميـلِ
تحتقِرُ النُّصحَ وتجفو النَّاصِحا — وتدعي العقلَ الكبيرَ الرَّاجِحا
عَنَتْ لها رَبيبةُ السباخِ — تحمِلُ وَزْنَيها مِنَ الأوساخِ
فحسِبَتْها والحِسابُ يُجدِي — ساحِرَةً من ساحِراتِ الهندِ
فانخرطَتْ مِثلَ الحُسامِ الوَالجِ — واندفَعَتْ تِلكَ كسَهمٍ زالجِ
حتى إذا ما أبلَغَتْها جُحْرَها — دارتْ عليه كالسُّوارِ دَوْرَها
تقولُ يا أُمَّ العَمَى والطَّيْشِ — أينَ الفِرارُ يا عَدُوَّ العَيْشِ
إنْ تلِجِي فالموتُ في الوُلوجِ — أو تخرُجي فالهُلْكُ في الخروجِ
فسكتَتْ طريدَة البُيوتِ — واغترَّتِ الأفعى بذا السكوتِ
وهجَمَتْ على الطَّريقِ هجْمَهْ — فخرَجتْ ضَرَّتُها بِسُرْعَهْ
ونهضتْ في ذِرْوَةِ الدماغِ — واسترسلَتْ في مُؤلِمِ التَّلْداغِ
فانتبهتْ كالحالِمِ المذعورِ — تصيحُ بالويلِ وبالثُّبورِ
حتى وهتْ من الفتاةِ القُوَّهْ — فنزلتْ عن رأسِها العدُوَّهْ

تقولُ صبراً للبَلاءِ صبرَا وإنْ وجَدْتِ قسْوَةً فعُذرَا!

فرأسُكِ الدَّاءُ وذا الدواءُ وهكذا فلْتُرْكَبُ الأعْدَاءُ!

مَنْ مَلَكَ الخَصْمَ ونامَ عنهُ يُصْبِحُ يَلْقَى ما لقيتُ مِنهُ

لولا الذى أبصرَ أهلُ التَّجرِبَهْ مِنِّى لَمَا سمُّوا الخبيثَ عقرَبَهْ!

السَّلُوقيُّ والجَوَاد

قال السَّلُوقِي مَرَّةً لِلْجَوَادْ ... وهْوَ إلى الصَّيْدِ مَسُوقُ القِيَادْ:
باللهِ قُلْ لى يارفيقَ الهنا ... فأنْتَ تدْرى لى آلوَفْا فى الوِدادْ
ألسْتَ أهلَ البِيدِ أهلَ الفلا ... أهْلَ السُّرى والسَّيرِ أهلَ الجِهادْ
ألمْ تكُنْ رَبَّ الصِّفاتِ الَّتى ... هامَ بها الشَّاعِرُ فى كلِّ وادْ؟
قال: بلى، كلُّ الَّذى قلْتَهُ ... أنا به المشْهُورُ بين العبادْ!
قال: فما بالُكَ يا صاحِبى ... إذا دعا الصيْدُ وجَدَّ الطِّرادْ
تشْكو فتُشْكِيكَ عصا سيِّدى ... إنَّ العصا ماخُلِقَتْ للجَوَادْ
وتَنْثنى فى عَرَقٍ سائلٍ ... مُنكسَ الرَّأسِ ضئِيلَ الفُؤَادْ
وذا السَّلوقِى أبداً صابِرٌ ... ينقادُ للمَالِكِ أىَّ انقيادْ؟
فقال: مهلًا يا كبيرَ النُّهى ... ما هكذا أنظارُ أهْلِ الرَّشادْ
السِّرُ فى الطَّيْرِ وفى الوَحْشِ لا ... فى عظْمِ سيقانِكِ ياذا السَّدادْ
ما الرِّجْلُ إلا حيثُ كانَ الهوى ... إنَّ البُطُونَ قادراتٌ شِدادْ
أمَا تَرى الطَّيْرَ على ضَعْفِها ... تَطوِى إلى الحَبِّ مِئاتِ البِلادْ!

فَأْرُ الْغَيْطِ وَفَأْرُ الْبَيْت

يُقالُ: كانتْ فأرةُ الْغيطانِ ... تَتِيهُ بِابْنَيْها على الفِيرانِ!

قد سَمَّتِ الأكبرَ نُورَ الغَيْطِ ... وعَلَّمَتْهُ الْمَشْيَ فوقَ الخَيْطِ

فعرَف الغِياضَ والمُرُوجا ... وأتقنَ الدُّخولَ والخروجا

وصارَ في الحِرْفَةِ كالآباءِ ... وعاش كالفلّاحِ في هناءِ

وأتْعَبَ الصَّغيرُ قلبَ الأُمِّ ... بالكِبْرِ فاحتارَتْ بما تُسَمِّي

فقالَ سَمِّيني بنورِ القصْرِ ... لأنّني يا أُمُّ فأرُ العَصْرِ!

إني أرى ما لم يرَ الشقيقُ ... فَلِي طريقٌ وله طريقُ

لأَدْخُلَنَّ الدارَ بعدَ الدارِ ... وثباً منَ الرَّفِّ إلى الكرارِ

لعلَّني إن ثبتَتْ أقدامي ... ونلتُ يا كلَّ المنى مَرَامي

آتيكما بما أرى في البيتِ ... منْ عسلٍ أو جُبْنَةٍ أو زيتِ

فعطَفَتْ على الصغيرِ أُمُّه ... وأقبلتْ مِن وَجْدِها تضُمُّه

تقولُ إني يا قتيلَ القُوتِ ... أخشى عليكَ ظُلْمَةَ البيوتِ

كان أبوكَ قدْ رأَى الفلاحا ... في أن تكون مِثْلَهُ فلّاحا

فاعمَلْ بما أوصى تُرِحْ جَنانِي ... أوْ لا فسِرْ في ذِمّةِ الرحمنِ

فاستضحكَ الفأرُ وهزَّ الكتفا ... وقال: مَن قال بِذا قد خَرِفا!

ثمَّ مضى لِمَا عليه صَمَّما وعاهدَ الأمَّ على أنْ تكتُمَا

فكانَ يأتِى كل يومٍ جُمْعَهْ وجُبْنَةً فى فمِهِ أو شَمْعَهْ

حتى مَضَى الشَّهْرُ وجاءَ الشَّهْرُ وعُرِفَ اللِّصُّ وشاعَ الأمْرُ

فجاءَ يوماً أمُّهُ مُضْطَرِبَا فسألَتْهُ أيْنَ خَلَّى الذَّنَبَا

فقال: ليْسَ بالفقيدِ مِن عَجَبْ فى الشهْدِ قدْ غاصَ وفى الشهْدِ ذَهَبْ

وجاءَها ثانيةً فى خَجَلِ مِنها يُدَارى فقْدَ إحْدَى الأرْجُلِ

فقال رفٌّ لم أُصِبْهُ عالى صيَّرَنى أعْرَجَ فى المعَالى!

وكان فى الثَّالِثَةِ ابنُ الفارَهْ قد أخْلَفَ العادَةَ فى الزِّيارَهْ

فاشْتَغَلَ القلْبُ عليه واشْتَعَلْ وسارتِ الأمُّ له على عجَلْ

فصادَفَتْهُ فى الطَّرِيقِ مُلْقَى قدْ سُحِقَت منْهُ العِظامُ سَحْقَا

فناحَتِ الأمُّ وصاحت واهَا! إن المَعَالى قَتَلت فتَاها!

مَلِكُ الْغِرْبَانِ وَنُدُورُ الْخَادِم

كانَ لِلغِرْبانِ في العَصْرِ مَلِيكْ ... وله في النَّخْلَةِ الكُبْرَى أرِيكْ

فيهِ كُرْسِيٌّ وخِدْرٌ ومُهُودْ ... لِصِغارِ المُلْكِ أصْحابِ العُهُودْ

جاءَهُ يوماً نُدُورُ الخادِمُ ... وَهْوَ في البابِ الأمِينُ الحازِمُ

قالَ يا فَرْعَ المُلوكِ الصّالِحِينْ ... أنتَ مازِلْتَ تُحِبُّ النّاصِحِينْ

سُوسةٌ كانت على القَصْرِ تَدُورْ ... جازَتِ القَصْرَ ودَبَّتْ في الجُذُورْ

فابْعَثِ الغِرْبانَ في إهلاكِها ... قبلَ أنْ نَهْلِكَ في أشْراكِها !

ضَحِكَ السُّلْطانُ من هذا المَقَالْ ... ثمَّ أدْنَى خادِمَ الخيرِ وقالْ :

أنا رَبُّ الشَّوْكةِ الضّافي الجَناحْ ... أنا ذو المِنْقارِ غَلّابُ الرِّياحْ

« أنا لا أنْظُرُ في هٰذِي الأمُورْ » ... أنا لا أُبْصِرُ تَحْتِي يا نُدُورْ !

ثمَّ لَمّا كانَ عامٌ بعدَ عامْ ... قامَ بينَ الرِّيحِ والنَّخْلِ خِصامْ

وإذا النَّخْلَةُ أقْوَى جِذْعُها ... فَبَدا لِلرِّيحِ سَهْلاً قَلْعُها

فَهَوَتْ لِلأرْضِ كالتَّلِّ الكبيرْ ... وهَوَى الدِّيوانُ وانْقَضَّ السَّرِيرْ

فَدَهَا السُّلطانَ ذا الخَطْبُ المَهُولْ ... ودَعا خادِمَهُ الغالي يقولْ :

يا نُدُورَ الخيرِ أسْعِفْ بالصِّياحْ ... ما تَرَى ما فَعَلَتْ فِينا الرِّياحْ ؟

قالَ : يا مَوْلايَ لا تَسْأَلْ نُدُورْ ... « أنا لا أنْظُرُ في هٰذِي الأمورْ » !

الظَّبْيُ وَالعِقْدُ وَالخِنْزِيرِ

ظَبْيٌ رأى صُورَتَهُ فى الماءِ   فرفَعَ الرَّأْسَ إلى السَّماءِ

وقالَ ياخالِقَ هـذا الجِيـدِ   زِنْهُ بِعِقْـدِ اللؤْلُؤِ النَّضِيدِ

فَسَمِعَ الماءَ يقولُ مُفْصِحاً   طَلَبْتَ يا ذا الظَّبْيُ ما لَنْ تُمْنَحَا

إنَّ الذى أعطاكَ هذا الجِيدَا   لمْ يُبْقِ فى الحُسْنِ له مَزِيدَا

لوأنَّ حُسْنَه على النُّحورِ   لم يَخْرُجُ الدُّر مِنَ البُحُورِ

فافْتَتَن الظَّبْيُ بِذِى المَقَالِ   وزادَهُ شَوْقاً إلى اللآلِى

ولم يَنَلْهُ فَمُهُ السَّقِيمُ   فعاشَ دَهْراً فى الفَلا يَهِيمُ

حتى تَقضَّى العُمْرُ فى الهُيَامِ   وهَجْرِ طِيبِ النَّوْمِ والطعامِ

فسارَ نحوَ الماءِ ذاتَ مَرَّةْ   يَشكو إليه نَفْعَهُ وضرَّهْ

وبينما الجارَانِ فى الكلامِ   أقبلَ راعِى الدَّيْرِ فى الظلامِ

يَتْبَعُه حيثُ مَشى خِنْزِيرُ   فى جِيدِهِ قِلادةٌ تنِيرُ

فانْدَفَعَ الظَّبْيُ لِذاكَ يَبْكِى   وقال مِنْ بعدِ انْجِلاءِ الشَّكِّ

ماآفةُ السَّعْيِ سِوَى الضلالِ   ما آفةُ العُمْرِ سِوَى الآمالِ

لولا قضاءُ المَلِكِ القديرِ   لما سَعَى العِقْدُ إلى الخِنْزِيرِ !

فالْتفَتَ الماءُ إلى الغزالِ   وقال : حالُ الشَّيْخِ شَر حالِ

لاعَجَبٌ إنَّ السنينَ مُوقِظَهْ   حفِظْتَ عُمْراً وحَفِظْتَ مَوْعِظَهْ !

وَلِيُّ عَهْدِ الأَسَدِ وَخُطْبَةُ الحِمَار

لَمَّا دَعَى داعِى أَبِى الأشبالِ مُبَشِّراً بأَوَّلِ الأنجـالِ
سَعَتْ سِباعُ الأرضِ والسَّماءِ وآنعَقَدَ المجلِسُ للهَنـاءِ
وصَدَرَ المَرْسُومُ بالأمانِ فى الأرضِ لِلْقاصى بها والدَّانى
فضاقَ بالذُّيُولِ صَحْنُ الدَّارِ من كلِّ ذى صُوفٍ وذى مِنْقارِ
حتى إذا آستَكمَلَتِ الجمعيَّهْ نادَى مُنادِى اللَّيْثِ فى المَعِيَّهْ
هلْ مِن خَطيبٍ مُحْسِنٍ خبيرِ يَدْعُو بِطُولِ الْعُمْرِ للأميرِ ؟
فنَهَضَ الْفيلُ المُشِيرُ السَّامى وقالَ ما يَلِيقُ بالمَقامِ
ثمَّ تَلاهُ الثَّعْلَبُ السَّفيرُ يُنْشِدُ حتى قيلَ ذا جَريرُ !
واندَفَعَ القِرْدُ مُدِيرُ الْكاسِ فقيلَ أَحْسَنْتَ أَبا نُوَاسِ !
وأَوْمَأَ الْحِمارُ بالْعَقيرَهْ يُريدُ أن يُشَرِّفَ الْعَشيرَهْ
فقالَ : باسْمِ خالِقِ الشَّعيرِ وباعِثِ العَصَا إلى الحميرِ !...
فأزْعَجَ الصَّوْتُ وَلِيَّ العَهْدِ فماتَ من رِعْدَتِهِ فى المَهْدِ
فحَمَلَ القَوْمُ على الحِمارِ بجُمْلَةِ الأنيابِ والأظْفارِ
وآنتَدَبَ الثَّعْلَبُ لِلتَّأْبينِ فقالَ فى التَّعْريضِ بالمِسْكينِ :
لاجَعَلَ اللهُ له قَرَاراً عاشَ حِماراً ومضى حِمارا !

الأَسَدُ وَالثَّعْلَبُ وَالْعِجْلُ

نَظَرَ اللَّيْثُ الى عِجْلٍ سَمِينْ كانَ بِالْقُرْبِ على غَيْطٍ أَمِينْ
فاشْتَهَتْ مِنْ لحمِه نفْسُ الرَّئِيسْ وكذا الأنفُسُ يُصْبِيها النَّفِيسْ
قالَ لِلثَّعْلَبِ ياذا الاحْتِيالْ رَأْسُكَ المحبُوبُ أو ذاكَ الغَزالْ!
فدعا بالسَّعْدِ والعُمْرِ الطَّوِيلْ ومضى فى الحالِ للأمْرِ الجليلْ
وأتى الغَيْطَ وقدْ جَنَّ الظَّلامْ فرأى العِجْلَ فأهْداهُ السَّلامْ
قائِلاً يا أيها المَوْلى الوَزِيرْ أنتَ أهْلُ العفْوِ والبِرِّ الغَزِيرْ
حَمَلَ الذِّئبَ على قتْلِى الحَسَدْ فوَشَى بى عِنْدَ مَوْلانا الأسَدْ
فترامَيْتُ على الجاهِ الرفيعْ وهْوَ فينا لم يزَلْ نِعْمَ الشَّفِيعْ!
فبَكى المغْرُورُ مِنْ حالِ الخَبِيثْ ودنا يَسْأَلُ عن شَرْحِ الحَدِيثْ
قال: هلْ تَجْهَلُ ياحُلْوَ الصِّفاتْ أنَّ مولانا أبا الأفيالِ ماتْ
فرأى السُّلطانُ فى الرَّأْسِ الكَبِيرْ مَوْطِنَ الحِكمةِ والحِذْقِ الكَثِيرْ
ورآكُمْ خَيْرَ مَنْ يَسْتَوْزِرُ ولِأمْرِ المُلْكِ رُكْناً يُدَّخَرُ
ولقَدْ عدُّوا لكُمْ بين الجُدُودْ مِثْلَ آبِيسَ ومَعْبُودِ اليهُود
فأقاموا لمعالِيكُمْ سَرِيرْ عنْ يمينِ المِلكِ السَّامى الخَطِيرْ
واسْتَعَدَّ الطَّيْرُ والوَحْشُ لِذَاكْ فى انتِظارِ السَّيِّدِ العالى هُناكْ

فإذا قمتم بأعباءِ الأمورْ   وانتهى الأنسُ إليكمْ والسرورْ
برِّئونى عندَ سلطانِ الزمانْ   واطلبوا لى العفوَ منهُ والأمانْ
وكفاكمْ أنّنى العبدُ المطيعْ   أخدمُ المنعِمَ جهدَ المستطيعْ
فأحدَّ العجلُ قرنيهِ وقال   أنتَ منذُ اليومِ جارى لا تُنال!
فامضِ واكشفْ لى إلى الليثِ الطريقْ   أنا لا يَشقَى لديهِ بى رفيقْ
فمضى الخِلّانِ توًّا للفلاهْ   ذا إلى الموتِ وهذا للحياهْ
وهناكَ ابتلعَ الليثُ الوزيرْ   وحبا الثعلبَ منه باليسيرْ
فانثنى يضحكُ منْ طيشِ العجولْ   وجرَى فى حلبةِ الفخرِ يقولْ :
سلِمَ الثعلبُ بالرأسِ الصغيرْ   ففداهُ كلُّ ذى رأسٍ كبيرْ!

القِردُ والفِيلُ

قِرْدٌ رأى الفيلَ على الطّريقِ مُهَرْوِلًا خَوْفاً من التّعْويقِ
وكان ذاكَ القِـرْدُ نصفَ أعْمَى يُريد يُحْصِى كلَّ شىءٍ عِلْمَا
فقال أهْــلا بأبى الأهْوالِ ومَرْحبـاً بِمُخْجِـلِ الجِبالِ
تَفْدِى الرُّءُوسُ رأسَكَ العَظِيما فقِفْ أشاهدْ حُسْنَكَ الوَسِيما
للهِ ماأظْرَفَ هـذا القَـدَّا وألطفَ العَظْمَ وأبْهى الجِلْدا
وأمْلَحَ الأذْنَ فى الاسْتِرْسالِ كأنَّها دائِرَةُ الغِرْبالِ
وأحسَنَ الخُرْطومَ حين تاهَا كأنه النَّخـلةُ فى صِباها
وظَهـرُكَ العالى هو البِساطُ للنّفسِ فى رُكوبِهِ انْبِساطُ
فعَدَّها الفِيلُ من السُّعُود وأمَرَ الشاعِـرَ بالصُّعُودِ
فجالَ فى الظَّهرِ بِلا تَوَانِ حتى إذا لم يَبْقَ مِن مكانِ...
أوْفَى على الشىءِ الذى لا يُذْكَرُ وأدخلَ الأُصْبُعَ فيه يَخْبُرُ...
فانْهَم الفيلُ البَعُوضَ واضْطَربْ وضَيَّقَ الثُّقْبَ وصالَ بالذَّنَبْ
فوَقَعَ الضرْبُ على السّليمهْ فلَحِقَتْ بأُخْتِها الكريمهْ!
ونزَلَ البَصيرُ[1] ذا اكْتِئابِ يشكو إلى الفيلِ مِن المُصابِ
فقال لاموجِبَ للنـدامَهْ الحمـدُ للهِ عـلى السَّلامَهْ!
مَنْ كان فى عينَيْه هـذا الداءُ فــفى العَمَى لنفسه وِقاءُ!

---

(١) البصير: الأعمى

الشَّاةُ وَالْغُرَابُ

مَرَّ الْغُــرابُ بِشاةٍ   قدْ غابَ عنها الْفطِيمُ
تقولُ والدَّمعُ جارٍ   والقلْبُ مِنها كَلِيمُ :
ياليْتَ شِعْرِىَ ياابْنِي   ووَاحِدِى ، هلْ تَدُومُ
وهلْ تكونُ بِجَنْبِي   غـداً على ما أَرُومُ
فقالَ يا أُمَّ سعْدٍ   هــذا عذابٌ أَلِيمُ
فكَّرت فى الْغَدِ والْفِكْرُ   مُقْعِدٌ ومُقيمُ
لِكُلِّ يَوْمٍ خُطُوبٌ   تكْفِى ، وشُغْلٌ عَظِيمُ
وبيْنَما هُوَ يهْذِى   أتى النَّعِيُّ الذَّمِيمُ
يقولُ خَلَّفْتُ سَعْداً   والعَظْمُ مِنْهُ هشِيمُ
رأى مِنَ الذِّئْبِ ماقَدْ   رأى أبُوه الكرِيمُ
فقالَ ذُو البَيْنِ لِلأُمِّ   حينَ ولَّتْ تَهِيمُ
إنَّ الحكِيمَ نَبِيٌّ   لِسانُه معصُومُ
ألَمْ أقُلْ لَكِ تَوًّا   لكلِّ يومٍ هُمُومُ
قالتْ صَدَقْتَ ولٰكِنْ   هٰذا الكلامُ قديمُ
فإنَّ قوْمِيَ قالوا :   وجْهُ الغُرَابِ مَشُومُ !

أُمَّةُ الأَرَانِبِ والفِيل

يَحْكُونَ أَنَّ أُمَّةَ الأَرَانِبِ　　قد أَخَذَتْ مِنَ الثَّرَى بجانِبِ

وابْتَهَجَتْ بالوَطَنِ الكريمِ　　ومَوْئِلِ العِيالِ والحَرِيمِ

فاخْتارَهُ الفيلُ لهُ طَرِيقَا　　مُمَزِّقًا أَصحابَنا تمزيقا

وكان فيهِمْ أَرْنَبٌ لبيبُ　　أَذْهَبَ جُلَّ صُوفِهِ التَّجْرِيبُ

نادى بِهِمْ يامَعْشَرَ الأَرانِبِ　　مِنْ عالِمٍ وشاعرٍ وكاتِبِ

اتَّحِدُوا ضِدَّ العَدُوِّ الجافى　　فالِاتِّحَادُ قُوَّةُ الضِّعافِ

فأَقْبَلوا مُسْتَصْوِبِينَ رَأْيَهْ　　وعقَدُوا لِلِاجْتِماعِ رَايَهْ

وانتَخَبُوا من بينِهِمْ ثلاثَهْ　　لا هَرَماً راعَوا ولا حَداثَهْ

بل نظروا إلى كمالِ العَقْلِ　　واعتَبَرُوا فى ذاكَ سِنَّ الفَضْلِ

فنَهَضَ الأَوَّلُ لِلْخِطابِ　　فقال إنَّ الرأْىَ ذا الصوابِ ...

...أنْ تُترَكَ الأرضُ لذى الخُرطومِ　　كَىْ نَسْتَرِيحَ من أذى الغَشُومِ

فصاحتِ الأرانِبُ الغَوالى :　　هذا أَضَرُّ من أبى الأهوالِ

ووثَبَ الثانى فقالَ إنى　　أَعْهَدُ فى الثعلبِ شيْخَ الفنِّ

فلْنَدْعُهُ يُمِدَّنا بحِكْمَتِهِ　　ويأخذ اثْنَيْنِ جزاءَ خِدْمَتِهْ

فقيلَ لا يا صاحِبَ السُّمُوِّ　　لا يُدْفَعُ العدو بالعَدُوِّ

وَٱنْتَدَبَ الثالثُ للكلامِ ... فقالَ يا مَعَاشِرَ الأقوامِ ،
اِجْتَمِعُوا فالاجْتِماعُ قُوَّةْ ... ثمَّ احْفِرُوا على الطريقِ هُوَّةْ
يَهْوِى إليها الفيلُ فى مروره ... فَنَسْتَريحُ الدَّهْرَ من شُرورِه
ثمَّ يقولُ الجيلُ بعدَ الجيلِ ... قدأكلَ الأرنبُ عقلَ الفيل !
فاسْتَصْوَبوا مَقالَه واستَحْسَنُوا ... وعملوا مِنْ فورِهِمْ فأَحْسَنوا
وهَلَكَ الفيلُ الرفيعُ الشَّانِ ... فأَمْسَتِ الأُمَّةُ فى أمانِ
وأَقْبَلَتْ لِصاحِبِ التَّدْبيرِ ... ساعيَةً بالتَّاجِ والسَّرير
فقالَ مَهْلًا يا بَنِي الأوطانِ ... إنَّ محلِّى لَلْمَحَلُ الثانى
فصاحِبُ الصَّوْتِ القَوِىِّ الغالبِ ... مَنْ قدْ دعا: «يامَعْشَرَ الأرانِبِ»

حِكَايَةُ الْخُفَّاشِ وَمَلِيكَةِ الْفَرَاشِ

مَرَّتْ على الخُفَّاشِ مَلِيكَةُ الفَرَاشِ
تطِيرُ بالْجُمُوعِ سَعْياً إلى الشُّمُوعِ
فَعَطَفَتْ ومالَتْ واسْتَضْحَكَتْ فقالتْ :
أَزْرَيْتَ بالغرامِ يا عاشِقَ الظلامِ
صِفْ لى الصديقَ الأسْوَدَا الخامِلَ الْمُجَرَّدَا (١)
قالَ : سألْتِ فيهِ أَصْدَقَ واصِفِيهِ
هُو الصَّدِيقُ الوافى الكامِلُ الأوصافِ
جِوَارُهُ أمانُ وسِرُّهُ كِتْمانُ
وطَرْفُهُ كَلِيلُ إذا هفا الخليلُ
يحْنُو على العُشَّاقِ يَتَّسِعُ لِلْمُشْتَاقِ
وجُمْلَةُ المقالِ هُوَ الْحَبِيبُ الغالى

* * *

فقالَتِ الحمقاءُ وقوْلُها آسْتِهْزَاءُ

---

(١) تعنى الليل ، والخفاش لا يأنس إلا بالظلام

أيْنَ أبُو الْمِسْكِ الْخَصِى ذُو الثَّمَنِ الْمُسْتَرْخَصِ [١]

مِنْ صاحِبي الأميرِ الظّـاهِرِ الْمُنِيرِ [٢]

إنْ عُدَّ فيمَنْ أعْرِفُ أسْمُو بِهِ وأَشْرُفُ

وإنْ سُئِلْتُ عَنْهُ وعنْ مكانى مِنْـهُ

أُفاخِـرُ الأتْرَابا وأَنْثَـنِي إعجابا

* * *

فقـالَ يا مَلِيـكَهْ ورَبَّةَ الأرِيـكَهْ

إنَّ مِنَ الْغُرورِ مَلامَـةَ الْمَغْرُورِ

فأَعْطِـنى قفـاكِ وامْضِى إلى الهلاكِ !

* * *

فتَرَكتْهُ ساخِرَهْ وذَهَبتْ مُفاخِرَهْ

وبعد ساعـةٍ مضَتْ مِنَ الزّمانِ فانقضَتْ

مَرّتْ على الْخُفّاشِ مَليكةُ الْفَرَاشِ

ناقصَـةَ الأعْضاءِ تشْكُو مِنَ الفناءِ

فجـاءَها مُنْهَمِكا يُضْحِكهُ مِنها البُكا !

قال : ألَمْ أقُلْ لكِ هَلَكْتِ أوْ لمْ تَهلِكى

رُبَّ صديقٍ عَبْدِ أبيَضُ وَجْهِ الْوُدِّ !

---

(١) أبو المسك الخصى : كافور الاخشيد ، وكان عبداً أسود

(٢) تعني الضوء

يَفْـــدِيكِ كالرَّئِيسِ بالنَّفْـسِ والنفِيسِ

وضاحِبٍ كالنُّورِ فى الْحُسْنِ والظهورِ

مُعْتَـكِرُ الفـؤَادِ مُضَيِّـعُ الْوِدَادِ

حِبَـالُه أشْرَاكُ وقُرْبُه هـلاكُ !

الأسدُ ووزيرهُ الحمارُ

اللَّيثُ مَلْكُ القِفارِ ... وما تَضُمّ الصَّحارِي

سَعَتْ إليهِ الرَّعايا ... يوماً بِكلِّ انكِسار

قالت: تَعيشُ وتبْقَى ... يادامِيَ الأظفارِ

ماتَ الوزيرُ فمَنْ ذا ... يَسوسُ أمْرَ الضَّوارِي؟

قالَ: الحِمارُ وَزيرِي ... قَضَى بهذا اختِيارِي

فاستضحكَتْ ثمَّ قالتْ: ... «ماذا رأى في الحِمارِ؟»

وخَلَّفتْهُ وطارتْ ... بِمُضحِكِ الأخبارِ

حتّى إذا الشَّهرُ وَلَّى ... كَلَيلةٍ أوْ نَهارِ

لمْ يَشعُرِ اللّيثُ إلا ... ومُلْكُهُ في دَمارِ

القِرْدُ عِندَ اليمينِ ... والكلْبُ عندَ اليَسارِ

والقِطُّ بَيْنَ يديْهِ ... يَلْهو بِعَظْمَةِ فارِ!

فقالَ: مَنْ في جُدُودِي ... مِثْلِي عَديمَ الوَقارِ!

أيْنَ اقتِدارِي وبَطْشِي ... وهَيْبَتِي واعتِبارِي!

فجاءَهُ القِرْدُ سِرًّا ... وقالَ بعدَ اعتِذارِ:

ياعالِيَ الجاهِ فِينا ... كُنْ عالِيَ الأنظارِ

رَأْيُ الرَّعيّةِ فِيكُمْ ... مِن رَأْيِكُمْ في الحِمارِ!

النَّمْلَةُ والمُقَطَّمُ

كانتِ النَّمْلَةُ تمشي مَرَّةً تحتَ المُقَطَّمْ
فارْتخَى مَفْصِلُها من هَيْبَةِ الطَّوْدِ المعَظَّمْ
وانْثَنَتْ تَنْظُرُ حتَّى أَوْجَدَ الخوْفُ وأَعْدَمْ
قالتِ : الْيَوْمَ هَلاكِي حَلَّ يَوْمِي وتَحَتَّمْ !
لَيْتَ شِعرى كيف أَنْجُو إنْ هَوَى هذا ، وأَسْلَمْ ؟
فَسَعَتْ تجرى ، وبَيْنَا هاتِرى الطَّوْدَ فتَنْدَمْ ...
... سَقَطَتْ فى شِبْرِ ماءٍ هو عندَ النَّمْلِ كالْيَمّ
فبَكَتْ يأساً وصاحتْ قبلَ جَرْيِ الماءِ فى الْفَمْ
ثمَّ قالت وهيَ أَدْرَى بالذى قالتْ وأَعْلَمْ :
لَيْتَنِى لمْ أَتأَخَّرْ ليتنى لمْ أَتقدَّمْ
ليتَنِي سَلَّمْتُ ، فالْعَاقِلُ مَنْ خافَ فَسَلَّمْ !
صاحِ ، لا تَخْشَ عظيماً فالذى فى الْغَيْبِ أَعْظَمْ

الْغَزَالُ وَالْكَلْبُ

كان فيما مَضَى من الدَّهرِ بَيتٌ من بُيُوتِ الْكرامِ فيهِ غَزالُ

يَطْعَمُ اللَّوْزَ والفَطيرَ ويُسْقَى عَسَلا لمْ يَشُبْهُ إلا الزُّلالُ

فأَتى الْكلْبُ ذاتَ يومٍ يُناجِيهِ وفى النَّفْسِ تَرْحَةٌ ومَلالُ

قالَ ياصاحِبَ الأمانةِ قُلْ لى كيفَ حالُ الْوَرَى وكيفَ الرِّجالُ

فأَجابَ الأمينُ وَهْوَ القَئُولُ الصّادِقُ الكامِلُ النُّهى المِفْضالُ :

سائِلى عنْ حَقيقةِ النَّاسِ، عُذْراً ليس فيهِمْ حَقيقةٌ فتُقالُ

إنما هُمْ حِقْدٌ وغِشٌّ وبُغْضٌ وأَذاةٌ وغِيبَةٌ وٱنْتِحالُ

لَيْتَ شِعْرى هل يَسْتَريحُ فُؤادِى كَمْ أُدارِيهِمُ وكَمْ أَحْتالُ

فَرِضا الْبَعْضِ فيه للبَعْضِ سُخْطٌ ورِضا الكلِّ مَطْلَبٌ لا يُنالُ

ورِضا اللهِ نَرْتَجِيهِ ولكنْ لا يُؤَدِّى إليهِ إلا الكَمالُ

لا يَغُرَّنْكَ ياأَخا البِيدِ مِنْ مَوْ لاكَ ذاكَ القَبُولُ والإِقْبالُ

أَنْتَ فى الأسْرِ ماسَلِمْتَ فإِنْ تَمْرَضْ تَقَطَّعْ من جِسْمِكَ الأَوْصالُ !

فاطْلُبِ البِيدَ وٱرْضَ بالْعُشْبِ قُوتاً فهُناكَ العَيْشُ الْهَنِيُّ الحلالُ

أَنا لولَا العظامُ وَهْيَ حَياتى لمْ تَطِبْ لى مع ٱبْنِ آدمَ حالُ

الثعلب والديك

بَرَزَ الثَّعْلَبُ يَوْماً فى شِعارِ الواعِظينا
فَمَشَى فى الأرْضِ يَهْذِى ويَسُبُّ الماكِرِينا
ويَقُولُ الحمدُ لِلّهِ إلهِ العالَمِينا
ياعِبادَ اللهِ تُوبُوا فهوَ كهْفُ التَّائبِينا
وازْهَدُوا فى الطَّيْرِ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الزَّاهِدِينا
واطْلُبُوا الدِّيكَ يُؤَذِّنْ لِصَلاةِ الصُّبْحِ فِينا
فأتَى الدِّيكَ رسولٌ مِنْ إمامِ النَّاسِكِينا
عَرَضَ الأمْرَ عليهِ وَهْوَ يرجُو أنْ يَلِينا
فأجابَ الدِّيكُ : عُذْراً ياأضَلَّ المُهْتَدِينا !
بَلِّغِ الثَّعْلَبَ عَنِّى عن جُدُودى الصَّالِحِينا
عن ذَوِى التِّيجانِ مِمَّنْ دَخَلَ البَطْنَ اللَّعِينا
أنهم قالوا وخَيْرُ القَوْلِ قولُ العارِفِينا :
« مُخْطِئٌ مَنْ ظَنَّ يوْماً أنَّ لِلثَّعْلَبِ دِينا ! »

النعجة وأولادها

اِسْمعْ نفائسَ ما يأْتيكَ مِنْ حِكَمى ... وَافْهَمْهُ فَهْمَ لَبيبٍ ناقِدٍ وَاعِى

كانت على زَعْمِهِمْ فيما مَضى غَنَمٌ ... بأَرْضِ بَغدادَ يَرْعَى جَمْعَها راعِى

قَدْ نامَ عنها فنامَتْ غيْرَ واحدةٍ ... لم يَدْعُها فى الدَّياجِى لِلكَرَى دَاعِى

أُمِّ الفَطيمِ، وسعْدٍ، والفَتى عَلَفٍ ... وَابنِ أُمِّـهِ ، وأخيه مُنْيَةِ الرَّاعى

فبينَما هى تحتَ اللَّيـلِ ساهِرَةٌ ... تُحْيِيهِ مابيـن أوْجالٍ وأوْجاعِ

بَدَا لها الذِّئبُ يَسْعَى فى الظَّلامِ على ... بُعْدٍ فصاحتْ أَلا قُومُوا إلى السَّاعى!

فقامَ رَاعِى الحِمَى المرعِىِّ مُنْذَعِراً ... يقولُ أَيْنَ كِلابى أين مِقْلاعى ؟

وضاقَ بالذِّئبِ وَجْهُ الأرضِ من فَرَقٍ ... فانْسابَ فيه انْسيابَ الظَّبْىِ فى القَاعِ

فقالتِ الأمُّ يا لَلْفَخْرِ كانَ أبى ... حُرّاً وكانَ وَفِيّاً طائِلَ البَاعِ

إذا الرعاةُ على أغنامِها سَهِرَتْ ... سَهِرْتُ من حُبِّ أطفالى على الرَّاعى!

الكلبُ والقطُّ والفأرُ

فأرٌ رأى القطَّ على الجِدارِ ... مُعذَّباً فى أضيقِ الحِصارِ

والكلبُ فى حالتِه المعهُودهْ ... مُستجمِعاً للوثبةِ الموعودهْ

فحاولَ الفأرُ اغتنامَ الفُرصهْ ... وقال أكفِى القِطَّ هذِى الغُصّهْ

لعلّهُ يكتُبُ بالأمانِ ... لِى ولأصحابى من الجِيرانِ

فسارَ للكلبِ على يدَيهِ ... ومكّنَ الترابَ مِن عينَيهِ

فاشتغل الرّاعى عن الجِدارِ ... ونزَلَ القِطُّ على بِدارِ

مُبتهِجاً يفكّرُ فى وليمهْ ... وفى فريسةٍ لها كريمهْ

يجعلها لِخَطبِهِ علامهْ ... يذكُرُها فيذكُرُ السّلامهْ

فجاء ذاكَ الفأرُ فى الأثناء ... وقال عاشَ القِطُّ فى هَناءِ!

رأيتُ فى الشِّدّةِ من إخلاصِى ... ما كانَ فيها سبَبَ الخَلاصِ

وقد أتيتُ أطلُبُ الأمانَا ... فامنُنْ به لِمَعشَرى إحسانا

فقالَ حقًّا هذه كرامهْ ... غنيمةٌ وقبلَها سَلامَهْ

يكفيكَ فخراً يا كريمَ الشِّيمَهْ ... أنّكَ فأرُ الخَطبِ والوليمهْ

وانقَضَّ فى الحالِ على الضّعيفِ ... يأكُلُهُ بالمِلحِ والرّغيفِ

فقلت فى المقامِ قولًا شاعا ... «مَنْ حَفِظَ الأعداءَ يوماً ضاعا»

سليمان والهدهد

وَقَفَ الهُدْهُدُ فى بَا بِ سُليمانَ بِذِلَّه
قالَ يامَولاىَ كُنْ لى عِيشَتى صارتْ مُمِلَّهْ
مُتُّ من حَبةِ بُرٍّ أحدثَتْ فى الصَّدْرِ غُلَّهْ
لامِياهُ النيلِ تُرْوِيها ولا أمواهُ دِجْلَهْ
وإذا دامتْ قليلاً قتَلَتْنى شَرَّ قِتْلَهْ!

٭ ٭ ٭

فأشارَ السيدُ العا لى إلى مَنْ كان حوْلَهْ:
قد جَنَى الهُدْهُدُ ذنباً وأتى فى اللُّؤمِ فَعْلَهْ
تِلْكَ نارُ الإثمِ فى الصَّدْ رِ وذى الشكْوى تَعِلَّهْ
ما أرَى الحَبَّة إلا سُرِقَتْ من بَيْتِ نَمْلَهْ
إنّ للظالم صَدْراً يَشْتكى من غيرِ عِلَّهْ!

سُلَيْمانُ وَالطَّاوُوسُ

سَمِعتُ بأَنَّ طاوُوساً أتى يوماً سُليمانا

يُجَرِّرُ دُونَ وفدِ الطَّيْرِ أذيالًا وأرْدانا

ويُظهِرُ رِيشَهُ طَوْراً ويُخْفِي الرِّيشَ أحيَانا

فقالَ : لديّ مسألةٌ أظُنُّ أوانَها آنا

وها قَدْ جِئْتُ أَعرِضُها على أعتابِ مولانا :

أَلَسْتُ الرَّوْضَ بالأزْها رِ والأنْوارِ مُزْدَانا ؟

أَلمْ أَسْتَوفِ آيَ الظرْ فِ أشكالا وألوَانا ؟

ألم أُصبِحْ بِبابِكُمُو لِجَمْعِ الطَّيرِ سُلْطَانا ؟

فكيْفَ يَليقُ أنْ أبْقَى وقَومِي الْغُرُّ أوْثانا !

فحُسْنُ الصَّوْتِ قدْ أمسَى نصِيبِي منْهُ حِرْمانا

فما تَيَّمتُ أفئِدَةً ولا أسكَرْتُ آذانا

وهذِي الطَّيرُ أحقَرُها يَزِيدُ الصَّبَّ أشْجَانا

وتَهْتزُّ الملوكُ لهُ إذا ما هَزَّ عِيدانا !

* * *

فقالَ له سُليمانٌ لقد كانَ الذي كانا

تعالَتْ حِكمَةُ البـارى   وجَـلَّ صَنِيعُهُ شانا

لقـد صَغَّرْتَ يامَغْرُو   رُ نُعمَى اللهِ كُفْرَانا

ومُلْكُ الطَّيرِ لم تَحفِلْ   به، كِبْراً وطُغْيـانا

فلَوْ أَصْبَحتَ ذا صوْتٍ   لَمَـا كلَّمْتَ إنسـانا !

الغُصْنُ والخُنْفَسَاءُ

كانَ بِرَوْضٍ غُصُنٌ ناعِمٌ   يقولُ جَلَّ الواحِدُ المُنْفَرِدْ

قَامَتِي فى ظَرْفِهَا قَامَتِي   ومِثْلُ حُسْنِي فى الورَى ماعُهِدْ

فأَقْبَلَتْ «خُنْفُسَةٌ» تَنْثَنِي   ونَجْلُهَا يمْشِي بِجَنْبِ الكَبِدْ

تقولُ يازَيْنَ رِيَاضِ البَهَا   إنَّ الَّذِي تَطْلُبُهُ قَدْ وُجِدْ

فانْظُر لِقَدِّ ابْنِي ولاَ تَفْتَخِرْ   مادامَ فى العَالَمِ أُمٌّ تَلِدْ !

القبرة وابنها

رأيتُ في بعضِ الرياضِ قُبَّرَهْ ... تُطيِّرُ ابنَها بأعلى الشجرَهْ

وهيَ تقولُ ياجمالَ العُشِّ ... لا تعتمدْ على الجناحِ الهشِّ

وقِفْ على عودٍ بجنبِ عودِ ... وافعلْ كما أفعلُ في الصُّعودِ

فانتقلتْ من فَنَنٍ إلى فَنَنْ ... وجعلتْ لِكلِّ نقلةٍ زمَنْ

كي يستريحَ الفرخُ في الأثناءِ ... فلا يَمَلَّ ثِقَلَ الهواءِ

لكنَّهُ قد خالفَ الإشارهْ ... لمَّا أرادَ يُظهِرُ الشطارهْ

وطارَ في الفضاءِ حتَّى ارتفعا ... فخانَهُ جناحُهُ فوقعا

فانكسرتْ في الحالِ رُكبتاهُ ... ولم ينلْ منَ العُلا مُناهُ

ولو تأنَّى نالَ ما تمنَّى ... وعاشَ طولَ عمرِهِ مُهنَّا

لِكلِّ شيءٍ في الحياةِ وقتُهُ ... وغايةُ المُستعجِلينَ فوتُهُ!

النعجتان

كان لِبَعْضِ النَّاسِ نعْجتَانِ — وكانتا فى الْغَيْطِ ترْعيَانِ

إحداهُمَا سَمِينَــةٌ والثَّانِيَهْ — عِظامُها مِنَ الْهُزالِ بادِيَهْ

فكانَتِ الأولى تُبَاهِى بالسِّمَنْ — وقوْلِهِمْ بأنَّهَا ذاتُ الثَّمَنْ

وتَدَّعِى أنَّ لها مِقْدارَا — وأنها تَسْتَوْقِفُ الأبصارا

فتَصْبِرُ الأُخْتُ على الإذْلالِ — حامِلَةً مَرارَةَ الإذْلالِ

حَتَّى أتى الجزَّارُ ذاتَ يومِ — وقَلَّبَ النَّعْجَةَ دُونَ القَوْمِ

فقالَ لِلْمالِكِ أَشْتَرِيها — ونَقَدَ الْكِيسَ النَّفِيسَ فيها

فانْطَلَقَتْ مِنْ فورِها لأُخْتِها — وهْىَ تَشُكُّ فى صلاحِ بَخْتِها

تقولُ يا أُخْتَاهُ خَبِّرِينى — هَلْ تَعْرِفِينَ حامِلَ السِّكِّينِ!

قالت: دَعِينى وهُزَالِي والزَّمَنْ — وكَلِّمِى الجزَّارَ ياذاتَ الثَّمَنْ!

لكلِّ حالٍ حُلْوُها ومُرُّها — ما أدبُ النَّعْجَةِ إلا صبْرُها

السَّفِينَة وَالْحَيَوَانَات

لَمَّا أَتَمَّ نُوحٌ السَّفِينَهْ وحَرَّكَتْها الْقُدْرَةُ الْمُعِينَهْ
جَرى بها مالا جَرَى بِبالِ، فما تعالَى الْمَوْجُ كالجِبالِ ...
... حتى مَشَى اللَّيْثُ مع الحِمارِ وأَخَذَ الْقِطُّ بأَيْدِى الفارِ
وآستَمَعَ الفيلُ إلى الْخِنْزِيرِ مُؤْتَنِساً بصوتِهِ النَّكِيرِ
وجاسَ الْهِرُّ بجنب الْكَلْبِ وَقَبَّلَ الخَرُوفُ نابَ الذئْبِ
وعَطَفَ الْبازُ على الغزالِ وآجتمَع النَّمْلُ على الأُكَّالِ
وفَلَت الْفرْخةُ صُوفَ الثَّعلَبِ وتَيَّمَ آبنَ عِرْسَ حُبُّ الأرْنَبِ
فذهبَتْ سوابِقُ الأحْقادِ وظَهَر الاحبابُ فى الأعادى
حتى إذا حَطُّوا بسَفْحِ الجُودِى وأيْقَنُوا بعَوْدةِ الوُجُودِ ...
... عادوا إلى ما تَقْتَضِيهِ الشِّيمَهْ ورَجَعوا للحالَةِ القَدِيمَهْ
فَقِسْ على ذلك أَحوالَ الْبَشَرْ إنْ شَمِلَ المَحْذُورُ أوْ عَمَّ الخَطَرْ :
بَيْنا تَرَى الْعالَمَ فى جِهادِ إذْ كُلُّهم على الزَّمانِ الْعادى

القردُ في السّفينَة

لمْ يَتَّفِقْ مما جرى في المركبِ ... ككَذبِ القردِ على نوحٍ النّبي

فإنه كانَ بأقْصى السَّطْحِ ... فاشْتاقَ من خِفَّتِهِ للمَزْحِ

وصاحَ بالطَّيرِ والأسْماكِ ... لِمَوْجَةٍ تجِدُّ في هَلاكي!

فبَعَثَ النبي له النُّسورا ... فوَجَدَتْهُ لاهِياً مسرورا

ثمَّ أتى ثانيةً يصيحُ ... قد ثُقِبَتْ مَرْكبُنا يانوحُ!

فأرْسَل النّبي كلَّ مَنْ حَضَرْ ... فلم يرَوْا كما رأى القِرْدُ خَطَرْ

وبينما السّفينةُ يوماً يَلعبُ ... جادَتْ به على المِياهِ المركبُ

فسمِعُوه في الدجى يَنُوحُ ... يقولُ إني هالِكٌ يانوحُ

سَقَطْتُ مِن حَماقتي في الماءِ ... وصِرْتُ بينَ الأرْضِ والسماءِ

فلم يصَدِّقْ أحدٌ صِياحَهْ ... وقيلَ حقًّا هذه وَقاحَهْ

قد قالَ في هذا المَقامِ مَنْ سَبَقْ ... أكْذَبُ ما يُلْفَى الكَذوبُ إنْ صدقْ

مَنْ كان مَمْنُوا بداءِ الكَذِبِ ... لا يَتْرُكُ الله ولا يُعْفِي نَبي!

نوحٌ عليه السّلام والنّملة في السّفينة

قدْ ودَّ نوحٌ أنْ يُباسِطَ قَوْمَهُ فدَعا إليــهِ معاشِرَ الحيوانِ

وأشارَ أنْ يَلِيَ السفينةَ قائدٌ منهم يكونُ من النُّهى بمكانِ

فتقـدَّمَ اللَّيْثُ الرَّفيعُ جلالُهُ وتعرَّضَ الفِيلُ الفخيمُ الشّانِ

وتلاهُما باقي السِّباعِ وكُلُّهمْ خَرُّوا لِهَيْبَتِه إلى الأذْقانِ

حتى إذا حَيُّوا المُؤَيَّدَ بالهُدَى ودَعَوْا بطولِ العِزِّ والإمكانِ

سَبَقَتْهُمُ لِخِطابِ نوحٍ نَمْلَةٌ كانت هناكَ بجانِبِ الأرْدانِ

قالتْ: نبيَّ اللهِ أرْضِي فارِسٌ وأنا يَقيناً فارِسُ المَيْدانِ

سأُديرُ دفّتَهَا وأحْمِي أهلَها وأقودُها في عِصْمةٍ وأمانِ!

ضَحِكَ النبيُّ وقال إنَّ سَفِينَتِي لَهِيَ الحياةُ وأنتِ كالإنْسانِ

كل الفضائلِ والعظائمِ عنده هو أوّلٌ والغَيْرُ فيها الثّاني

ويَوَدُّ لَوْ ساسَ الزّمانَ، ومالَهُ بأقلِّ أشْغالِ الزّمانِ يدَانِ!

اَلدُّبُّ فى السَّفِينَة

اَلدُّبُّ معرُوفٌ بسُوءِ الظَّنِّ   فاسْمَعْ حديثَهُ العجيبَ عنِّى

لمَّا اسْتَطالَ المُكْثَ فى السَّفينهْ   مَلَّ دوامَ العِيشةِ الظَّنينَهْ

وقالَ إن المَوْتَ فى انتِظارى   والماءُ لاشَكَّ بِهِ قَرارى

ثمَّ رأى مَوْجاً على بُعدٍ عَلاْ   فظَنَّ أنَّ فى الفَضاءِ جبلَا

فقال لابُدَّ مِنَ النُّزُولِ   وَصَلْتُ أو لمْ أَحْظَ بالْوُصُولِ

قدْ قالَ مَنْ أَدَّبَهُ اخْتِبارُهْ:   السَّعْىُ للموتِ ولا انتظارُهْ !

فأَسْلَمَ النَّفْسَ إلى الأمْواجِ   وهْىَ مع الرِّياحِ فى هِيَاجِ

فَشَرِبَ التَّعيسُ منها فانْتَفَخْ   ثم رَسَا على القَرارِ ورَسَخْ

وبعدَ ساعَتَيْنِ غِيضَ الماءُ   وأَقْلعَتْ بأمْرِهِ السَّماءُ

وكانَ فى صاحِبِنا بعْضُ الرَّمَقْ   إذْ جاءَه المَوْتُ بَطيئاً فى الغَرَقْ

فلَمَحَ المركَبَ فوْقَ الجُودِى   والرَّكْبُ فى خَيْرٍ وفى سُعودِ

فقالَ يالَجَدِّىَ التَّعيسِ   أَسَأْتُ ظَنِّى بالنَّبى الرَّئيسِ !

ماكانَ ضَرَّنى لوِ امْتَثَلْتُ   ومِثْلَما قدْ فَعَلوا فَعَلتُ !

الثعلب فى السفينة

أبو الحصين جال فى السفينة فعرف السمين والسمينه

يقول إن حاله استحالا وإن ما كان قديماً زالا

لكون ما حل من المصائب من غضب الله على الثعالب

ويغلظ الأيمان للديوك لما عسى يبقى من الشكوك

بأنهم إن نزلوا فى الأرض يرون منه كل شىء يرضى

قيل : فلما تركوا السفينة مشى مع السمين والسمينة

حتى إذا ما نصفوا الطريقا لم يبق منهم حوله رفيقا [1]

وقال إذ قالوا عديم الدين : لا عجب إن حنثت يمينى

فإنما نحن بنى الدهاء نعمل فى الشدة للرخاء

ومن تخاف أن يبيع دينه تكفيك منه صحبة السفينة !

---

(١) لأنه أكل الجميع

اَللّيْثُ وَالذِّئْبُ فى السَّفينَة

يُقالُ إنّ اللّيْثَ فى ذى الشّدّهْ	رأى من الذّئبِ صفا المَوَدّهْ
فقالَ يامَنْ صانَ لى تَخَلّى	فى حالتَيْ ولايتى وعَزْلى
إنْ عُدتُ للأرْضِ بإذْنِ اللهِ	وعادَ لى فيها قديمُ الجاهِ
أُعْطيكَ عِجلَيْنِ وألفَ شاةِ	ثم تكونُ وَالِيَ الوُلاةِ ،
وصاحِبَ اللِّواءِ فى الذّئابِ	وقاهِرَ الرعاةِ والكلابِ
حتى إذا ماتمّتِ الكرامَهْ	ووَطِئَ الأرْضَ على السلامَهْ
سَعَى إليه الذّئبُ بعدَ شهرِ	وهْوَ مُطاعُ النّهْيِ ماضِى الأمْرِ
فقالَ : يامَنْ لاتُداسُ أرْضُه	ومَنْ له طُولُ الفَلا وعَرْضُه
قد نِلْتَ ما نِلْتَ منَ التكريمِ	وذا أوانُ المَوْعِدِ الكَريمِ !
قالَ : تجرّأتَ وساءَ زَعْمُكا	فمَنْ تكونُ ياقَتى وما آسْمُكا ؟
أجابَه : إنْ كانَ ظَنّى صادِقا	فإنّنى والِى الوُلاةِ سابِقاً !

اَلثَّعْلَبُ وَالْأَرْنَبُ فى السَّفِينَةِ

أتى نبيَّ اللهِ يوماً ثعلبُ فقالَ يامَوْلاىَ إنّى مُذْنِبُ
قدْ سَوَّدَتْ صحيفتى الذنُوبُ وإنْ وجدْتُ شافعاً أتوبُ
فاسْأَلْ إلهى عفْوَهُ الجَليلا لتائبٍ قدْ جاءَهُ ذليلا!
وإنّنى وإنْ أسأتُ السيْرا عمِلْتُ شرًّا وعمِلْتُ خيْرا
فقدْ أتانى ذاتَ يومٍ أرْنَبُ يَرْتَعُ تحتَ منْزِلى ويلْعَبُ
ولمْ يكنْ مُراقِبٌ هُنالِكا لكنّنى تركْتُهُ معْ ذلِكا
إذْ عِفْتُ فى افْتِراسِهِ الدَّناءَهْ فلَمْ يَصِلْهُ منْ يَدِى مَسَاءَهْ!
وكان فى المجلِسِ ذاكَ الأرْنَبُ يَسْمَعُ ما يُبْدِى هُناكَ الثَّعْلَبُ
فقالَ لمّا انقطعَ الحديثُ : قد كان ذاكَ الزُّهْدُ ياخَبِيث...
... وأنتَ بَيْنَ المَوْتِ والحياةِ منْ تُخْمَةٍ ألْقَتْكَ فى الفَلاةِ!

الأرنبُ وبنتُ عرسٍ في السفينة

قدْ حَملتْ إحدى نِسا الأرانبِ وحلَّ يومُ وضعِها في المركبِ

فقلِقَ الرُّكّابُ مِنْ بُكائها؛ وبينما الفتاةُ في عنائها...

... جاءتْ عجوزٌ مِنْ بَناتِ عِرْسِ تقولُ أفدِي جارَتي بنفسي

أنا الّتي أُرجَى لِهذي الغايهْ لأنني كنتُ قديماً «دايهْ»

فقالتِ الأرنبُ: لا ياجارَهْ فإنَّ بعدَ الألفةِ الزِّيارهْ

مالي وُثوقٌ ببناتِ عِرْسِ إنِّي أُريدُ دايَةً منْ جِنْسِي!

الْحِمَارُ فِى السَّفِينَة

سَقَطَ الْحِمَارُ مِنَ السَّفِينَةِ فِى الدُّجَى فَبَكَى الرِّفَاقُ لِفَقْدِهِ وَتَرَحَّمُوا
حَتَّى إِذَا طَلَعَ النَّهَارُ أَتَتْ بِهِ نَحْوَ السَّفِينَةِ مَوْجَةٌ تَتَقَدَّمُ
قَالَتْ خُذُوهُ كَمَا أَتَانِى سَالِمًا لَمْ أَبْتَلِعْهُ لِأَنَّهُ لَا يُهْضَمُ!

سُلَيمانُ عَلَيهِ السَّلامُ وَالحَمامَة

كانَ ابنُ داوُدٍ يُقَرِّبُ في مَجالِسِهِ حَمامَهْ
خَدَمَتْهُ عُمراً مِثلَما قد شاءَ صِدقاً واستِقامَهْ
فَمَضَتْ إلى عُمّالِهِ يوماً تُبَلِّغُهُمْ سَلامَهْ
والكُتْبُ تَحتَ جَناحِها كُتِبَتْ لَها فيها الكَرامَهْ
فأرادَتِ الحَمقاءُ تَعرِفُ مِن رسائِلِهِ مَرامَهْ
عَمَدَتْ لأوَّلِها وكا نَ إلى خَليفَتِهِ بِرامَهْ [1]
فرأتْهُ يأمُرُ فيهِ عا مِلَهُ بتاجٍ لِلحَمامَهْ
ويَقولُ وفّوها الرِّعا يَةَ في الرَّحيلِ وفي الإقامَهْ
ويُشيرُ في الثّاني بأنْ تُعطى رِياضاً في تِهامَهْ [1]
وأتَتْ لِثالِثِها ولَمْ تَستَحيِ أنْ فَضَّتْ خِتامَهْ
فرأتْهُ يأمُرُ أنْ تَكو نَ لها على الطَّيرِ الزَّعامَهْ
فبَكَتْ لِذاكَ تَندُّماً هَيهاتَ لا تُجدي النَّدامَهْ!
وأتَتْ نبيَّ اللهِ وَهْيَ تَقولُ يا رَبِّ السَّلامَهْ!
قالتْ فَقَدْتُ الكُتْبَ يا مَوْلايَ في أرضِ اليَمامَهْ [1]

---

(١) رامة ، وتهامة ، واليمامة : أمكنة

.... لِتَسَرِعِي لَمَّـا أتا ... نِي الْبَازُ يَدْفَعُنِي أمامَهْ !

فأَجابَ بَلْ جِئْتِ الّذى ... كادتْ تقـومُ له القِيامَـةْ

لـٰكِنْ كفاكِ عُقُوبَةً ... مَنْ خانَ خانَتْهُ الْـكرامهْ !

الأَسَدُ والضِّفْدَعُ

اِنْفَعْ بما أُعْطِيتَ من قُدْرَةٍ	واشْفَعْ لِذِى الذَّنْبِ لَدَى المَجْمَعِ
إذْ كَيْفَ تَسْمُو لِلْعُلا يافَتَى	إنْ أنتَ لم تَنْفَعْ ولم تَشْفَعِ
عِنْدِى لهذا نَبأٌ صادِقٌ	يُعْجِبُ أَهْلَ الفَضْلِ فاسْمَعْ وَعِ
قالوا آسْتَوَى اللَّيْثُ على عرشِهِ	فَجِيءَ فى المَجْلِسِ بالضِّفْدَعِ
وقيلَ لِلسُّلْطانِ هذِى التى	بالأمْسِ آذَتْ عالِيَ المَسْمَعِ
تُنَقْنِقُ الدَّهْرَ بِلا عِلَّةٍ	وتَدَّعِى فى الماءِ ما تدعى
فانْظُرْ إليكَ الأمْرَ فى ذَنْبِها	ومُرْ نُعَلِّقْها مِنَ الأرْبَعِ
فنهضَ الفِيلُ وزيرُ العُلا	وقالَ: ياذا الشَّرَفِ الأرْفَعِ،
لا خَيْرَ فى المُلْكِ وفى عِزِّهِ	إنْ ضاقَ جاهُ اللَّيْثِ بالضِّفْدَعِ!
فكَتَبَ اللَّيْثُ أماناً لها	وزادَ أنْ جادَ بِمُسْتَنْقَعِ!

النملة الزاهدة

سعي الفتى في عيشه عباده — وقائد يهديه للسعاده

لأن بالسعي يقوم الكون — والله للساعين نعم العون

فإن تشأ فهذه حكايه — تعد في هذا المقام غايه

كانت بأرض نملة تنباله — لم تسل يوما لذة البطاله

واشتهرت في النمل بالتقشف — واتصفت بالزهد والتصوف

لكن يقوم الليل من يقتات — فالبطن لا تملؤه الصلاة

والنمل لا يسعى إليه الحب — ونملتي شق عليها الدأب

فخرجت إلى التماس القوت — وجعلت تطوف بالبيوت

تقول هل من نملة تقيه — تنعم بالقوت لذي الوليه

لقد عييت بالطوى المبرح — ومنذ ليلتين لم أسبح

فصاحت الجارات يا للعار — لم تترك النملة للصرصار !

متى رضينا مثل هذي الحال — متى مددنا الكف للسؤال ؟

ونحن في عين الوجود أمه — ذات اشتهار بعلو الهمه

نحمل ما لا تصبر الجمال — عن بعضه لو أنها تمال

ألم يقل من قوله الصواب — ما عندنا لسائل جواب

فامضي فإنا يا عجوز الشوم — نرى كمال الزهد أن تصومي !

الْيَمَامَةُ وَالصَّيَّادُ

يمامَةٌ كانت بأعلى الشَّجرهْ   آمِنَةً فى عُشِّهَا مُسْتَتِرَهْ
فأقبلَ الصَّيَّادُ ذاتَ يَوْمِ   وحامَ حَوْلَ الرَّوْضِ أيَّ حَوْمِ
فلمْ يجدْ لِلطَّيْرِ فيهِ ظِلَّا   وهَمَّ بالرَّحيلِ حينَ ملَّا
فبَرَزَتْ مِنْ عُشِّهَا الحمقاءُ   والْحُمْقُ داءٌ مالَهُ دواءُ
تقولُ جَهْلا بالذى سيَحدُثُ:   يأَيُّها الإِنْسانُ عمَّ تَبْحَثُ؟
فالْتَفَتَ الصيَّادُ صوبَ الصوتِ   ونَحْوَهُ سدَّدَ سهْمَ الموْتِ
فسَقَطتْ من عرشِها المَسْكينِ   ووقَعَتْ فى قبْضَةِ السِّكِّينِ
تقولُ قوْلَ عارِفٍ مُحَقِّقِ:   «ملكْتُ نفْسى لوْ ملكْتُ مَنْطِقِى!»

اَلْكَلْبُ وَالْحَمَامَة

حِكَايَةُ الْكَلْبِ مَعَ الْحَمَامَهْ — تَشْهَدُ لِلْجِنْسَيْنِ بِالْكَرَامَهْ

يُقَالُ: كَانَ الْكَلْبُ ذَاتَ يَوْمِ — بَيْنَ الرِّيَاضِ غَارِقاً فِى النَّوْمِ

فَجَاءَ مِنْ وَرَائِهِ الثُّعْبَانُ — مُنْتَفِخاً كَأَنَّهُ الشَّيْطَانُ

وَهَمَّ أَنْ يَغْدِرَ بِالأَمِينِ — فَرَقَّتِ الْوَرْقَاءُ لِلْمِسْكِينِ

وَنَزَلَتْ تَوّاً تُغِيثُ الْكَلْبَا — وَنَقَرَتْهُ نَقْرَةً فَهَبَّا

فَحَمِدَ اللهَ عَلَى السَّلامَهْ — وَحَفِظَ الْجَمِيلَ لِلْحَمَامَهْ

إِذْ مَرَّ مَا مَرَّ مِنَ الزَّمَانِ — ثُمَّ أَتَى الْمَالِكُ لِلْبُسْتَانِ

فَسَبَقَ الْكَلْبُ لِتِلْكَ الشَّجَرَهْ — لِيُنْذِرَ الطَّيْرَ كَمَا قَدْ أَنْذَرَهْ

وَاتَّخَذَ النَّبْحَ لَهُ عَلامَهْ — فَفَهِمَتْ حَدِيثَهُ الْحَمَامَهْ

وَأَقْلَعَتْ فِى الْحَالِ لِلْخَلاصِ — فَسَلِمَتْ مِنْ طَائِرِ الرَّصَاصِ

هٰذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ يَا أَهْلَ الْفِطَنْ — النَّاسُ بِالنَّاسِ وَمَنْ يُعِنْ يُعَنْ!

الْكَلْبُ وَالْبَبغاء

كانَ لبَعْضِ الناسِ ببغـاءُ ... ما مَلَّ يَوْماً نُطقَها الإصْغاءُ

رَفيعَةُ القَـدْرِ لَدَى مَوْلاها ... وكلُّ مَن في بَيْتِهِ يَهْواها

وكانَ في الْمَنْزِلِ كَلْبٌ عالى ... أرْخَصَهُ وُجودُ هـذا الغالى

كذا القَليلُ بالْكَثيرِ يَنْقُصُ ... والْفَضْلُ بَعْضُهُ لِبَعْضٍ مُرْخِصُ

فجاءها يوماً عـلى غِرارِ ... وقَلْبُهُ مِنْ بُغْضِها في نارِ

وقالَ يامَليكَةَ الطُّـيُورِ ... وياحياةَ الأُنْسِ والسُّرُورِ

بِحُسْنِ نُطقِكِ الَّذِي قد أصْبى ... إلاّ أرَيْتِنى اللِّسانَ العَذْبا

لأنَّنِى قدْ حِرْتُ في التَّفـكُّرِ ... لَمَّا سَمِعْتُ أنَّهُ مِنْ سُكَّرِ!

فأخْرجَتْ منْ طَيْشِها لِسانَها ... فعَضَّهُ بِنَـابِهِ فشانَهـا

ثم مضَى مِنْ فَوْرِهِ يَصيحُ ... قطَعْتُهُ لأنَّهُ فَصِـيحُ!

وما لهَـا عِنْدِىَ مِنْ ثأْرٍ يُعَـدّْ ... غيْرَ الّذى سَمَّوْهُ قِدْماً بالحَسَدْ!

الْحِمَارُ وَالْجَمَلُ

كان لبَعْضِهِمْ حِمارٌ وجَمَلْ نالَهُما يوماً مِنَ الرِّقِّ مَلَلْ

فانْتَظَرا بَشائِرَ الظَّلْماءِ وانطلقا معاً إلى البَيْداءِ

يجْتَلِيانِ طَلْعَةَ الْحُرِّيَّهْ وينْشَقانِ رِيحَها الزَّكِيَّهْ

فاتَّفَقا أنْ يَقْضِيا العُمْرَ بِهَا وارْتَضَيا بمائِهَا وعُشْبِهَا

وبَعْدَ لَيْلَةٍ مِنَ المَسِيرِ الْتَفَتَ الْحِمارُ لِلْبَعِيرِ

وقالَ : كَرْبٌ يا أخِي عظيمُ فقِفْ فَمَشْيِي كُلُّهُ عَقِيمُ !

فقالَ : سَلْ فِداكَ أُمِّي وأبِي عسَى تَنالُ بِي جليلَ المَطْلَبِ

قالَ انْطَلِقْ معي لإدْراكِ المُنَى أوِ انْتَظِرْ صاحِبَكَ الْحُرَّ هُنا

لا بُدَّ لي مِنْ عَوْدَةٍ لِلْبَلَدِ لأنَّنِي تركتُ فيه مِقْوَدِي !

فقال سِرْ والْزَمْ أخاكَ الْوَتِدَا فإنَّما خُلِقْتَ كَيْ تُقَيَّدا !

دودة القز والدودة الوضاءة

لِدُودَةِ القزِّ عِنْدِي ودودةِ الأضْواءِ
حِكايَةٌ تشتهيها مسامعُ الأذكياءِ
لمّا رأتْ تِلْكَ هذِي تُنِيرُ في الظلْماءِ
سَعَتْ إليْها وقالتْ: تَعِيشُ ذاتُ الضِّياءِ!
أنا المُؤَمَّلُ نَفْعِي أنا الشَّهِيرُ وفائِي
حَلا لِيَ النَّفْعُ حتّى رَضِيتُ فِيهِ فَنائي
وقدْ أتَيْتُ لأحظَى بِوَجْهِكِ الوضّاءِ
فهلْ لِنُورِ الثّرَى في مَوَدّتِي وإخائِي؟

* * *

قالتْ: عَرضتِ علَيْنا وجْهاً بغيرِ حياءِ!
مَن أنتِ حتى تُدانِي ذاتَ السَّنا والسَّناءِ!
أنا البديعُ جمالي أنا الرّفيعُ علائِي
أيْنَ الكواكِبُ مِنّي بلْ أيْنَ بدْرُ السماءِ
فامْضِي فلا وُدَّ عندي إذْ لستِ من أكْفائي!

* * *

وعِنْدَ ذلك مرّتْ حسْناءُ معْ حسْناءِ

تقُــولُ : للهِ ثوْبى   فى حُسْنه والبَهاءِ

كم عنْدَنا منْ أيادٍ   للــذُودةِ الغَرّاءِ !

ثمّ انثنَتْ فأَتتْ ذى   تقُــولُ للحَمْقاءِ :

هلْ عنْدَكِ الآنَ شكٌّ   فى رُتْبَتى القَعْساءِ !

وقدْ رَأَيتِ صنِيعى   وقدْ سَمِعتِ ثنائى !

إنْ كانَ فِيكِ ضِياءٌ   إنّ الثّناءَ ضِــيائى

وإنّهُ لَضِــياءٌ   مُؤيّدٌ بالْبَقــاءِ !

الجملُ والثعلبُ

كانَ على بعْضِ الدُّرُوبِ جَمَلُ　　حَمَّلَهُ المالِكُ مالا يَحْمِلُ
فقالَ يا لَلنَّحْسِ والشَّقاءِ !　　إنْ طالَ هذا لم يَطُلْ بقائى
لمْ تحْمِلِ الجبالُ مِثْلَ حِمْلى　　أظُنُّ مَوْلاىَ يُرِيدُ قَتْلى !
فجاءَهُ الثَّعْلبُ منْ أمامِهْ　　وكان نالَ القَصْدَ من كلامِهْ
فقالَ مهْلًا يا أخا الأحْمالِ　　ويا طويلَ الباعِ فى الجِمالِ
فأنتَ خيْرٌ من أخيكَ حالا　　لأننى أتْعَبُ منْكَ بالاَ
كأنَّ قُدَّامِىَ ألفَ ديكِ　　تسْألُنى عن دَمِها المَسْفُوكِ
كأنَّ خلْفى ألفَ ألفِ أرْنَبِ　　إذا نَهَضْتُ جاذَبَتْنى ذَنَبى
ورُبَّ أُمٍّ جِئْتُ فى مُناخِها　　فجَعْتُها بالفَتْكِ فى أفْراخِها
يَبْعَثُنى مِنْ مَرْقَدِى بُكاها　　وأفْتَحُ العَيْنَ على شكْواها
وقدْ عرَفْتَ خافِىَ الأحْمالِ　　فاصْبِرْ وقُلْ لِأُمَّةِ الجِمالِ :
ليْسَ بحِمْلٍ ما يَمَلُّ الظَّهْرُ　　ما الحِمْلُ إلا ما يُعانى الصَّدْرُ !

الْغَزَالَةُ وَالْأتَانُ

غَزالةٌ مَرَّتْ على أتانِ ... تُقَبِّلُ الفَطِيمَ فى الأسْنانِ

وكان خَلْفَ الظَبْيةِ ابْنُها الرَّشا ... يَوَدُّها لوْ حَمَلَتْهُ فى الْحشَا

ففعَلَتْ بسيِّدِ الصِّغارِ ... فِعْلَ الأتانِ بابْنِها الْحِمارِ

فأسْرَعَ الْحِمارُ نَحْوَ أُمِّهِ ... وجاءَها والضَّحْكُ مِلْءُ فِيهِ

يصيحُ : يا أُماهُ ماذا قد دَهَا ... حتَّى الغزالةُ اسْتَخَفَّتِ ابنَها !

الثعلبُ الّذى انخدعَ

قد سَمِعَ الثَّعْلَبُ أهلَ القُرَى   يدْعُونَ مُحْتَالا بيَا ثعْلَبُ !

فقالَ حقًّا هـذه غايةٌ   فى الْفَخْرِ لا تُؤْتَى ولا تُطْلَبُ

مَنْ فى النُّهى مِثْلِى حتى الورَى   أصْبَحْتُ فيهِمْ مثلا يُضْرَبُ

ما ضَرَّ لو وافيتُهُمْ زائراً   أُرِيهُمُ فوْقَ الذى اسْتَغْرَبوا

لَعَلّهُم يُحْيُون لى زينةً   يَحْضُرُها الدِّيكُ أوِ الأرْنَبُ

وقَصَدَ القَوْمَ وحيّاهُمُ   وقام فيها بيْنَهُمْ يَخْطُبُ

فأخِذَ الزّائِرُ مِنْ أُذْنِهِ   وأُعطِىَ الكَلْبَ به يلْعَبُ !

فلا تَثِقْ يوْماً بذِى حِيلَةٍ   إذْ رُبَّما ينْخدِعُ الثّعلَبُ !

ثُعَالَةُ وَالْحِمَار

أَتَى ثُعَالَةَ يوماً من الضَّواحِى حِمَارُ
وقالَ إنْ كنتَ جارى حقًّا ونِعْمَ الْجارُ
قُلْ لى فإنى كئيبٌ مُفَكِّرٌ مُحْتارُ
فى مَوْكِبِ الأمسِ لمَّا سِرْنا وسارَ الكِبارُ ...
... طَرَحْتُ مَوْلاىَ أرْضاً فهلْ بذلك عارُ
وهل أتيتُ عَظيماً ؟ فقال : لا يا حِمَارُ !

البغل والجواد

بغلٌ أتى الجوادَ ذاتَ مرَّهْ   وقلبُهُ ممتلئٌ مسرّهْ
فقالَ فضلي قد بدا يا خِلّي   وآنَ أنْ تعرفَ لي محلّي
إذ كنتَ أمسِ ماشياً بجانبي   تعجبُ من رقصي تحتَ صاحبي
أختالُ حتى قالتِ العِبادُ   لِمَنْ مِنَ المُلوكِ ذا الجوادُ!
فضحِكَ الحِصانُ من مقالِهِ   وقال بالمعهودِ من دلالِهِ :
لم أرَ رقصَ البغلِ تحتَ الغازي   لكنْ سمعتُ نقرةَ المِهمازِ!

الفأرةُ والقِطُّ

سَمِعْتُ أنَّ فأرَةً أتاها شقيقُها يَنْعَى لها فَتاها
يَصيحُ يالى مِن نُحُوسِ بَخْتى مَنْ سَلَّطَ القِطَّ على ٱبنِ أُخْتى!
فوَلْوَلَتْ وعضَّتِ التُّرابَا وجَمَعَتْ لِلمَأْتَمِ الأترابا
وقالتِ اليَومَ ٱنقضَتْ لَذَّاتى لاخَيْرَ لى بَعْدَكَ فى الحياةِ
مَنْ لى بِهِرٍّ مثلِ ذاكَ الْهِرِّ يُرِيحُنى من ذا العذابِ الْمُرِّ!
وكانَ بالقُرْبِ الذى تُريدُ يَسمَعُ ماتُبْدِى وما تُعيدُ
فجاءها يقولُ يابُشْراكِ إن الذى دَعَوْتِ قد لَبَّاكِ!
فَفَزِعتْ لما رأَتْهُ الفارَهْ وٱعتَصَمَتْ منه ببَيْتِ الجارَهْ
وأشْرفَتْ تقولُ للسَّفيهِ إنْ مُتُّ بعدَ ٱبنى فمَنْ يَبْكِيهِ!

الغزال والخروف والتيس والذئب

تنازعَ الغزالُ والخروفُ وقالَ كُلٌّ إنه الظَّريفُ
فرأيا التَّيْسَ فظنَّا أنه أعطاهُ عقلا مَن أطالَ ذَقْنَهُ!
فكلفاهُ أنْ يُفتِّشَ الفَلَا عن حَكَمٍ له اعتبارٌ في المَلَا
يَنْظُرُ في دَعْواهُما بالدِّقَّهْ عساهُ يُعطِي الحَقَّ مُستحِقَّهْ
فسارَ للبحثِ بِلا تَوانِي مُفتخِراً بثِقةِ الإخوانِ
يقولُ عِندي نظرةٌ كبيرهْ تَرْفعُ شأنَ التَّيْسِ في العَشيرهْ
وذاكَ أنَّ أجدرَ الثَّناءِ بالصِّدْقِ ماجاء من الأعْداءِ
وأنني إذا دعوْتُ الذِّيبا لايستطيعانِ له تكذيبا
لِكَوْنِهِ لا يَعرِفُ الغَزالا وليسَ يُلْقِي للخروفِ بالاً
ثم أتى الذِّيبَ فقال طَلْبتي أنتَ فَسِرْ معي وخُذْ بِلِحيتي!
وقادَهُ للموْضعِ المعروفِ فقامَ بين الظَّبْيِ والخروفِ
وقالَ لاأحْكُمُ حَسْبَ الظَّاهرِ فمزّقَ الظَّبْيَيْنِ بالأظافرِ!
وقال للتَّيْسِ انطلِقْ لِشأنِكا ماقتَلَ الخَصْمَيْنِ غيرُ ذَقْنِكا!

الثَّعْلَبُ وَالأَرْنَبُ وَالدِّيك

مِن أعْجَبِ الأخبارِ أنَّ الأرْنَبا لَمّا رأى الدِّيكَ يَسُبُّ الثَّعْلبا

وَهْوَ على الجِـــدارِ فى أمانِ يَغلِبُ بالمكانِ لابالإمْكانِ

داخَلهُ الظَّنُّ بأنَّ الماكِرا أمْسَى من الضَّعْفِ يُطيقُ السّاخِرا

فجاءَهُ يَلْعَنُ مثلَ الأوّلِ عِدادَ مافى الأرْضِ من مُغفَّلِ !

فعصَفَ الثعلبُ بالضعيـفِ عصْفَ أخيه الذِّيبِ بالخروفِ !

وقال : لى فى دَمِكَ المسْفوكِ تَسْلِيةٌ عن خَيْبتى فى الدِّيكِ !

فالْتفتَ الدِّيكُ إلى الذَّبيحِ وقال قَـوْلَ عارِفٍ فصيحِ

ما كُلُّنا يَنْفعُـهُ لِسانُه فى الناسِ مَنْ يُنْطِقُه مكانُه !

الثَّعْلَبُ وأُمُّ الذِّئْبِ

كانَ ذِئْبٌ يَتغدَّى   فجَرَتْ فى الزَّوْرِ عَظْمَهْ

أَلْزَمَتْه الصَّوْمَ حتى   فجَعَتْ فى الروحِ جِسْمَهْ

فأَتى الثَّعْلَبُ يَبْكى   ويُعَزِّى فيه أُمَّهْ

قال يا أُمَّ صديقى   بِىَ مِمّا بِكِ غُمَّهْ

فاصْبِرِى صبراً جميلاً   إنَّ صبرَ الأُمِّ رَحْمَهْ !

فأجابتْ : يا ابْنَ أُخْتى   كلُّ ما قدْ قلتَ حِكْمَهْ .

ما بِىَ الغالى ولكنْ   قَوْلُهُمْ ماتَ بِعَظْمَهْ !

لَيْتَه مِثلَ أخيه   ماتَ محسوداً بتُخْمَهْ !

دِيوانُ الأطفال

[مجموعة من الشعر السهل ، نظمها
لتكون للأطفال أدباً وثقافة] :

الهِرَّةُ والنظافة :

هِرَّتي جِدُّ أليفَهْ وَهْيَ للبيتِ حَليفَهْ
هي مالم تَتَحَرَّكْ دُمْيَةُ البيتِ الظريفَهْ
فإذا جاءتْ وراحتْ زِيدَ في البيتِ وَصيفَهْ !
شغلُها الفارُ: تُنَقِّي الرَّفَّ منه والسَّقيفَهْ
وتقومُ الظُّهْرَ والعصرَ بأورادٍ شريفَهْ !
ومن الأثوابِ لم تملِكْ سِوَى فَرْوٍ قطيفَهْ
كلما آسْتَوسَخَ أو آوَى البراغيثَ المُطيفَهْ ...
... غَسَلَتْهُ وكَوَتْهُ بأساليبَ لَطيفَهْ
وَحَدَتْ ماهُو كالحَمّامِ والماءِ وظيفَهْ
صَيَّرَتْ ريقتَها الصابونَ والشاربَ ليفَهْ

✡ ✡ ✡

لا تَمُرَّنَّ على العَيْنِ ولا بالأنفِ جيفَهْ
وتَعَوَّدْ أن تُلاقَى حَسَنَ الثوبِ نظيفَهْ
إنما الثوبُ على الإنسانِ عُنوانُ الصحيفَهْ

الْجَدَّةُ :

لِي جَدَّةٌ تَرْأَفُ بِي أَحْنَى عَلَيَّ مِنْ أَبِي
وكلُّ شَيْءٍ سَرَّنِي تَذْهَبُ فِيهِ مَذْهَبِي
إِنْ غَضِبَ الأَهْلُ عَلَيَّ كُلُّهُمْ لَمْ تَغْضَبِ
مَشَى أَبِي يَوْماً إِلَيَّ مِشْيَةَ الْمُؤَدِّبِ
غَضْبَانَ قَدْ هَدَّدَ بِالضَّرْبِ وَإِنْ لَمْ يَضْرِبِ
فَلَمْ أَجِدْ لِي مِنْهُ غَيْرَ جَدَّتِي مِنْ مَهْرَبِ
فَجَعَلَتْنِي خَلْفَهَا أَنْجُو بِهَا وَأَخْتَبِي
وَهْيَ تَقُولُ لِأَبِي بِلَهْجَةِ الْمُؤَنِّبِ :
وَيْحٌ لَهُ ! وَيْحٌ لِهَذَا الْوَلَدِ الْمُعَذَّبِ !
أَلَمْ تَكُنْ تَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ إِذْ أَنْتَ صَبِي ؟

الْوَطَنُ :

عُصْفُورتانِ فى الْحِجا زِ حَلتَّا على فَنَنْ
فى خامِلٍ من الرِّيا ضِ، لا نَدٍ ولا حسَنْ
بيْناهُما تَنْتَجِيا نِ سَحَراً على الْغُصُنْ
مَرَّ على أيْكِهِما رِيحٌ سَرَى مِنَ الْيَمَنْ
حيَّا وقال : دُرَّتا نِ فى وِعاءٍ مُمْتَهَنْ !
لقد رأيْتُ حَوْلَ صَنْ عاءَ وفى ظِلِّ عدَنْ [1]
خمائلا كأنَّها بَقِيَّةٌ مِنْ ذِى يَزَنْ [2]
الْحَبُّ فيها سُكَّرٌ والماءُ شَهْدٌ ولَبَنْ
لمْ يرَها الطَّيْرُ ولمْ يَسْمَعْ بها إلا افْتَتَنْ
هيَّا اركَبانى نأْتِها فى ساعَةٍ منَ الزَّمَنْ

* * *

قالتْ لهُ إحداهُما والطَّيْرُ مِنْهُنَّ الْفَطِنْ :
ياريحُ أنْتَ ابنُ السَّبِيـ لِ، ماعَرَفْتَ ما السَّكَنْ
هَبْ جنَّةَ الخُلْدِ اليَمَنْ لاشئَ يَعدِلُ الوطنْ !

---

(١) صنعاء ، وعدن : من بلاد اليمن

(٢) ذو يزن : من ألقاب ملوك اليمن فى التاريخ القديم

اَلرِّفْقُ بالْحَيَوَان

اَلْحَيَوانُ خَلْقُ لهُ عليْكَ حَق
سَخَّرَهُ اللهُ لكا ولِلْعبادِ قبْلَكا
حَمُولَةُ الأثقالِ ومُرْضِعُ الأطفالِ
ومُطْعِمُ الجماعَةْ وخادِمُ الزِّرَاعَةْ
مِنْ حقِّهِ أنْ يُرْفقا به وألَّا يُرْهَقا
إنْ كَلَّ دَعْهُ يَسْتَرِحْ وداوِهِ إذا جُرِحْ
ولا يَجُعْ في دارِكا أوْ يَظْمَ في جِوارِكا
بَهيمَةٌ مِسْكينُ يَشكو فلا يُبِينُ
لسانُهُ مقطوعُ وما لَهُ دُمُوعُ !

الأمُّ !

لوْلا التُّقى لقُلْتُ لمْ   يَخْلُقْ سِواكِ الْوَلَدا !
إنْ شِئْتِ كان الْعَيْرَ أوْ   إنْ شئْتِ كان الأسدا
وإنْ تُرِدْ غَيًّا غَوى   أَوْ تَبْغِ رُشْداً رَشدا
والبَيْتِ أَنْتِ الصوتَ فِيـ   ـهِ وهْوَ لِلصّوتِ صَدى
كالببغا فى قفَصٍ :   قِيلَ له فقَــلَّدا
وكالقضيبِ اللّدْنِ : قَدْ   طاوَع فى الشّكْلِ الْيَدا
يأْخُــذُ ما عوّدْتِهِ   والمرْءُ ما تعوّدا !

وَلَدُ الْغُرَاب:

وَمُمَهَّدٍ فى الْوَكْرِ مِنْ وَلَدِ الغرابِ مُزَقَّقِ
كَرُوَيْهِبٍ مُتَقَلِّسٍ مُتَأَزِّرٍ مُتَنَطِّقِ (1)
لبِسَ الرَّمادَ على سَوا دِ جَناحِهِ والْمَفْرِقِ
كالفَحْمِ غادرَ فى الرَّما دِ بقِيَّةً لم تُحْرَقِ
ثُلُثاهُ مِنْقارٌ ورأ سٌ والأظافِرُ ما بَقِى
ضَخْمُ الدماغِ على الخلُوِّ مِنَ الحِجَى والمَنْطِقِ!
مِنْ أمِّه لقِىَ الصَّغِ يرُ مِنَ البَلِيَّةِ مالَقِى
جَلَبَتْ عليْهِ ما تَذُو دُ الأمَّهاتُ وتَتَّقى
فُتِنَتْ به فتَوَهَّمَتْ فيهِ قُوًى لم تُخْلَقِ
قالتْ كَبِرْتَ فثِبْ كما وثب الكِبارُ وحَلِّقِ
ورَمَتْ به فى الجوِّ لمْ تَحْرِصْ ولم تَسْتَوْثِقِ
فهَوَى فمُزِّقَ فى فِنا ءِ الدَّارِ شرَّ مُمَزَّقِ
وسَمِعتُ قافاتٍ تُرَدُّ دُ فى الفضاءِ وتَرْتَقى (2)

(1) رويهب : راهب صغير ، والمتقلس ، المتأزر ، المتنطق : الذى يلبس القلنسوة ، والازار ، والنطاق ، كالرهبان !

(2) القافات : نعيق الغربان

ورَأيتُ غِرْباناً تفَرَّ قُ في السماءِ وتلْتقِي

وعرَفتُ رَنّة أُمّـهِ في الصّارِخاتِ النُّعّقِ

فأشرْتُ فالْتفَتتْ فقلْتُ لها مَقالةَ مُشْفِقِ:

أَطْلقْتِه ولوِ امتْحنْتِ جَناحَهُ لم تُطلِقى

وكما ترَفّـقَ والِدَا كِ عليكِ لم تترَفّقى!

النّيلُ

النّيلُ العذْبُ هُوَ الكَوْثَرْ   والجنّةُ شاطِئُهُ الأخضَرْ

ريّانُ الصّفْحَةِ والمَنْظَرْ   ما أبهى الخُلْدَ وما أنضَرْ!

* * *

البَحْرُ الفيّاضُ القُدُسُ   السّاقِي الناسَ وما غَرَسُوا

وهُوَ المِنْوالُ لما لَبِسُوا   والمُنْعِمُ بالقُطْنِ الأنْوَرْ

* * *

جَعلَ الإحسانَ له شَرْعَا   لم يُخْلِ الواديَ مِن مَرْعَى

فترى زرْعاً يَتْلو زرعا   وهُنا يُجْنَى وهُنا يُبْذَرْ

* * *

جارٍ ويُرَى ليس بجارِ   لأناةٍ فيهِ ووقارِ

يَنْصَبُّ كتَلٍّ مُنْهارِ   ويَضِجُّ فتَحْسَبُهُ يَزْأرْ

* * *

حَبَشِيُّ اللّوْنِ كجِيرَتِهِ   مِن مَنْبَعِهِ وبُحَيْرَتِهِ

صَبَغَ الشّطّيْنِ بِسُمْرَتِهِ   لَوْناً كالمِسْكِ وكالعَنْبَرْ

المَدْرَسَةُ

أنا المدرسةُ اجعلْنى كأمٍّ ، لا تَمِلْ عنِّى
ولا تفزعْ كمأخوذٍ منَ البيْتِ إلى السِّجْنِ
كأنِّى وجْهُ صيَّادٍ وأنت الطيرُ فى الغُصْنِ !
ولا بُدَّ لك اليومَ — وإلا فغداً — مِنِّى
أوِ استَغْنِ عنِ العقْلِ إذنْ عنِّى تستغْنى !
أنا المِصباحُ للفِكرِ أنا المِفتاحُ لِلذِّهْنِ
أنا البابُ إلى المَجْدِ تعالَ ادْخُلْ على اليُمْنِ
غداً ترْتعُ فى حَوْشِى ولا تَشْبَعُ مِنْ صَحْنِى
وألقاكَ بإخوانٍ يُدانونَكَ فى السِّنِّ
تُناديهمْ بيا فِكْرِى ! ويا شَوقى ! ويا حُسنى !
وآباء أحبُّوكَ وما أنتَ لهمْ بِابْنِ !

نَشِيدُ مِصْر

بَنِى مِصرٍ مَكانُكُمُو تَهَيَّا فَهَيَّا مَهِّدُوا لِلْمُلْكِ هيَّا
خُذُوا شَمْسَ النَّهارِ لهُ حُلِيًّا أَلَمْ تَكُ تاجَ أَوَّلِكُمْ مَلِيًّا!

* * *

على الأخلاقِ خُطُّوا المُلْكَ وابْنُوا فلَيْسَ وراءَها لِلعِزِّ رُكْنُ
أليْس لكُمْ بِوادِي النِّيلِ عَدْنُ وكَوْثَرُها الذى يَجْرِى شهِيًّا!

* * *

لنا وطنٌ بأنفسِنا نَقِيهِ وبالدُّنْيا العريضَةِ نَفْتَدِيهِ
إذا ما سِيلَتِ الأرواحُ فِيه بَذَلْناها كأنْ لمْ نُعطِ شيًّا

* * *

لنا الهَرَمُ الذى صَحِبَ الزمانا ومِنْ حَدَثانِه أَخَذ الأمانا
ونحْنُ بنو السَّنا العالى، نمَانا أوائلُ عَلَّمُوا الأُمَمَ الرُّقِيَّا

* * *

تطاوَلَ عهْدُهُمْ عِزًّا وفَخْرًا فلَمّا آلَ للتَّاريخِ ذُخْرا ...
... نشَأْنا نَشْأَةً فى المَجْدِ أُخْرى جَعَلْنا الحَقَّ مَظْهَرَها العَلِيَّا

* * *

جَعلْنا مِصْرَ مِلَّةَ ذِي الْجَلالِ   وألَّفْنا الصَّليبَ على الْهِلالِ
وأقْبَلْنا كَصَفٍّ من عَوالِ   يَشُدُّ السَّمْهَرِيُّ السَّمْهَرِيَّا

* * *

نَرُومُ لِمِصْرَ عِزًا لا يُرامُ   يَرِفُّ على جوانِبِه السَّلامُ
ويَنْعَمُ فيه جِيرانٌ كِرامُ   فلَنْ تجِدَ النَّزِيلَ بنا شَقِيَّا

* * *

نقُومُ على البِنايَةِ مُحْسِنِينا   ونَعْهَدُ بالتَّمامِ إلى بَنِينا
إليْكِ نَمُوتُ مِصْرُ كما حَيِينا   ويَبْقَى وجْهُكِ الْمَفْدِيُّ حَيَّا

نَشِيدُ الْكَشَّافَة :

نحنُ الْكَشَّافَةُ فى الوادى   جِبْرِيلُ الروحُ لنا حادِى
يارَبِّ بِعيسى والهادى   وبمُوسى خُذ بيَدِ الْوَطَنِ

✲ ✲ ✲

كَشَّافَةُ مِصْرَ وصِبْيَتُها   ومَنَاةُ الدَّارِ ومُنْيَتُها
وجمالُ الأرْضِ وحِلْيَتُها   وطلائعُ أفراحِ المُدُنِ

✲ ✲ ✲

نَبْتَدِرُ الخيرَ ونَستَبِقُ   مايَرْضى الخالِقُ والخلْقُ
بالنَّفسِ وخالِقِها نَثِقُ   ونَزِيدُ وُثوقاً فى المِحَنِ

✲ ✲ ✲

فى السَّهْلِ نَرِف رَياحِينا   ونَجُوبُ الصَّخْرَ شياطِينا
نَبْنى الأبْدانَ وتَبْنِينا   والهِمَّةُ فى الجسمِ المَرِنِ

✲ ✲ ✲

ونَحَلِى الخَلقَ وما اعْتَقَدوا   ولِوَجْهِ الخالِقِ نجتَهِدُ
نأسُو الجَرْحى أنَّى وُجِدُوا   ونُدَاوِى مِنْ جَرحَ الزَّمَنُ

✲ ✲ ✲

فى الصِّدْقِ نشأْنا والكَرَمِ والعِفّةِ عنْ مَسِّ الحُرَمِ
ورِعايةِ طِفْلٍ أو هرمِ والذَّوْدِ عن الغِيدِ الحُصُنِ

* * *

ونُوافِى الصّارِخَ فى اللجَجِ والنّارِ السّاطعَةِ الوَهَجِ
لانَسْأَلُهُ ثمنَ المُهَجِ وكَفَى بالواجِبِ مِن ثَمَنِ

* * *

يارَب فكَثّرْنا عَددَا وابْذُلْ لِأُبُوّتِنا المَدَدَا
هَيِّئْ لهمُ ولنا رَشَدَا ياربِّ وخُذْ بيدِ الوَطَنِ

من شعر الصبا

« قال فى صباه يهنئ الخديو توفيق بعيد الفطر ويشير
إلى صلة أنفذها إليه وهو فى الدراسة بأوروبا » :

قَصْرَ الأعِزَّةِ ماأَعزَّ حِماكا ... وأَجلَّ فى العَلْياءِ بَدْرَ سَماكا

تتساءَلُ العربُ المُقَدَّسُ بيتُها ... أَوُعِيدَ بانِى رُكْنِهِ فبَناكا

وتقولُ إذْ تأْتيكَ تَلْتمِسُ الهُدَى ... سِيَّانِ هذا فى الجلالِ وذاكا

يامُلْتَقَى القمَرَيْنِ ماأبْهاكَ ! بَل ... يامَجْمَعَ البَحْرينِ ماأصْفاكا !

إنَّ الأمانةَ والجلالةَ والعُلا ... فى هالةٍ دارَتْ على مَغْناكا

ماالعِزُّ إلا فى ثَرَى القَدَمِ التى ... حَسَدَتْ عليها النَّيِّراتُ ثَراكا

ياسادِسَ الأمراءِ من آبائِهِ ... ما لِلْإمارةِ مَنْ يُعَدُّ سِواكا

التُّرْكُ تَقْرأُ باسْمِ جَدِّكَ فى الوَغَى ... والعُرْبُ تَذكُرُ فى الكتابِ أباكا [1]

نَسَبٌ لوِ انْتَمَتِ النُّجومُ لِعِقْدِهِ ... لَتَرَفَّعَتْ أَنْ تَسْكُنَ الأفْلاكا

شَرَفًا عزيزَ العَصْرِ فُتَّ مُلوكَهُ ... فَضْلًا وفاتَ بَنِيهِمُ نَجْلاكا

لكَ جَنَّةُ الدنيا وكَوْثَرُها الذى ... يجْرِى به فى المُلْكِ شَرْطُ غِناكا

ولكَ المدائنُ والثُّغورُ مَنيعةً ... فى مَجْمَعِ البحرين تحتَ لِواكا

---

(١) هو توفيق بن «اسماعيل»

مُلْكٌ رَعيتَ اللهَ فيـه مُؤَيَّداً باسمِ النَّـبىِّ مُوَفَّقاً مَسْعَاكا
فأَقَمتَ أَمْراً ياأبا الْعبَّاسِ مأ مونَ السَّبِيلِ على رَشيد نُهاكا
إن يَعْـرِضوهُ على الجبالِ تَهِنْ له وهِىَ الجبالُ، فما أَشَـدَّ قُوَاكا!
بسياسةٍ تَقِفُ العقولُ كليـلَةً لاتَسْتطيعُ لِكُنْهِها إدْرَاكا
وبحِكمـةٍ فى الحكْمِ تَوْفيقيَّةٍ لك يَقْتَفى فيهـا الرِّجالُ خُطاكا

٭ ٭ ٭

مَوْلاىَ، عيدُ الْفِطْرِ صُبحُ سُعُودِه فى مِصْرَ أَسْفَرَ عن سَنَا بُشْرَاكا
فَاْستَقبِلِ الآمالَ فيـه بَشائِراً وأَشائِراً تُجْـلَى على عَلْياكا
وتَلَقَّ أعيادَ الزمانِ مُنيرَةً فهَناؤه ماكان فيـه هَناكا
أيَّامُكَ الْغُـرُّ السَّعيدة كُلُّها عِيدٌ، فَعِيـدُ العالَمِينَ بَقاكا
فلْيَبْقَ بَيتُكَ ولْيَـدُمْ ديوانُهُ وَلْيَحْىَ جُنْدُكَ وَلْتَعِشْ شُورَاكا
وَلْيَهْنِـنى بِكَ كلَّ يومٍ أنَّنى فى ألْفِ عيـدٍ من سُعودِ رِضاكا
يـأَيُّها المِلكُ الأرِيبُ إلَيْكَـهَا عذراءَ هامَتْ فى صِفاتِ عُلاكا
فطَوَتْ إليْـكَ البحرَ أبيَضَ نِسْبَةً لِنَظـيرِه المورُودِ من يُمْناكا
قَدِمَتْ على عِيدٍ لِبـابِكَ بعدما قَدِمَتْ علَىَّ جـديدةً نُعْماكا
أو كلمـا جادَتْ نَدَاكَ رَوِيَّتى سَبَقَتْ ثنـاىَ بالِارْتِجالِ يداكا
أنْتَ الغَنِىُّ عن الثَّناءِ فإنْ تُرِدْ مايُطْرِبُ المِلكَ الأديبَ فَهَاكا!

قصر المنتزه :

« وقال يصف قصر المنتزه العامر بالاسكندرية بعد رؤية معالمه الشائقة بدعوة من الجناب العالى سنة ١٨٩٥ »

مُنْتَزَهُ العبَّاسِ لِلمُجْتَلِي ... آمَنْتُ باللهِ وجنَّاتِه !

أَلعَيْشُ فيه ليس فى غيرهِ ... ياطالِبَ العيشِ ولَذَّاتِه

قُصورُ عِزٍّ باذِخاتُ الذُرَى ... يَوَدُّها كِسْرَى مَشِيداتِه

مِنْ كلِّ راسِي الأصلِ تحتَ الثَّرَى ... مُحَيِّرِ النَّجْمِ بِذِرْواته

دارَتْ على البحرِ سلالِمُهُ ... فبِتْنَ أطواقاً لِلَبَّاتِه

مُنْتَظِماتٌ مائجاتٌ به ... مُنَمَّقاتٌ مِثلَ لُجَّاتِه

من الرّخامِ النّدرِ لكنّها ... تُنازِعُ الجوهَرَ قِيماتِه

مِن عَمَلِ الإنسِ سِوَى أنها ... تُنسِى سليمانَ وجنّاتِه

والرِّيحُ فى أبوابِه والجوا ... رِى مائلاتٌ دونَ ساحاتِه

وغابُه مَنْ سارَ فى ظِلِّها ... يَأْبَى على البُسْفورِ غاباتِه

بالطُّولِ والعَرضِ تُباهى فذا ... وافٍ وهذا عند غاياتِه

والرَّملُ حالٍ بالضحى مُذْهَبٌ ... يُصَدِّئُ الظِّلُّ سبيكاتِه

وَتُرْعَةٌ لو لمْ تكُنْ حُلْوَةً   أنْسَتْ «لَمَرْتِينَ» بُحَيْرَاتِهِ[1]

أَوْ لمْ تكُنْ ثَمَّ حياةَ الثَّرَى   لمْ تُبْقِ فى الوصْفِ لحيَّاتِهِ

وفى فَمِ الْبَحْرِ لِمَنْ جاءَهُ   لِسانُ أرْضٍ فاقَ فُرْضاتِهِ

تَنْحَشِدُ الطَّيْرُ بأكْنافِهِ   وَيَجْمَعُ الْوَحْشُ جماعاتِهِ

مِنْ مَعزٍ وحْشِيَّةٍ إنْ جَرَتْ   أَرَتْ مِنَ الْجَرْيِ نِهاياتِهِ

أَوْ وَثَبَتْ فالنَّجْمُ مِنْ تحْتِها   والسُّورُ فى أَسْرِ أُسيرَاتِهِ

وأَرْنَبٌ كالنَّمْلِ إنْ أُحصِيَتْ   تَنْبُتُ فى الرَّمْلِ وأبياتِهِ

يَعْلُو بها الصَّيْدُ ويغْلو إذا   ما قَيْصَرٌ أَلْقَى حِبالاتِهِ

ومِنْ ظِباءٍ فى كِناساتِها   تَهِيجُ لِلْعاشِقِ لَوْعاتِهِ

والْخَيْلُ فى الْحَىِّ عِراقِيَّةٌ   تَحْمِي وتُحْمَى فى بُيُوتاتِهِ

غُرٌّ كأيَّامِ عَزِيزِ الْوَرَى   مُحَجَّلاتٌ مِثْلَ أوْقاتِهِ

---

(١) لامارتين : شاعر فرنسا العظيم ، وقصيدته عن «البحيرة» ذائعة مشهورة ، وقد ترجمت إلى العربية مرات

«وقال يهنئ الخديو توفيق بقدوم نجليه من سياحتهما بأوروبا» :

مابات يُثنى على علياك إنسانُ ... إلا وأنتَ لعينِ الدهرِ إنسانُ

وما تهلَّلتَ إذْ وافاكَ ذو أملٍ ... إلا وأدهشهُ حُسْنٌ وإحسانُ

لله ساحتُكَ المسعودُ قاصِدُها ... فإنما ظِلُّها أمنٌ وإيمانُ

أينْ تباهى بِكَ الدينُ الحنيفُ لكمْ ... تقوَّمتْ بك للإسلامِ أركانُ

تُراقِبُ اللهَ فى مُلْكٍ تُدَبِّرُهُ ... فأنتَ فى العدلِ والتقوى سُليمانُ

أنجى لك اللهُ أنجالاً يُهيّئهمْ ... لِرِفعةِ المُلْكِ إقبالٌ وعِرفانُ

أعِــزَّةٌ أينما حلَّتْ ركائِبُهُمْ ... لهمْ مكانٌ كما شاءوا وإمكانُ

لمْ تَثْنِهِمْ عنْ طِلابِ العِلمِ فى صِغَرٍ ... فى عزِّ مُلْكِكَ ـ أوطارٌ وأوطانُ

تأبى السَّعــادَةُ إلا أنْ تُسايِرَهمْ ... لأنَّهمْ لِمُلوكِ الأرضِ ضِيفانُ

نجلانِ قدْ بلغا فى المجدِ ما بَلغا ... مُعظَّمٌ لهما بيْنَ الورى شانُ

يكفيهما فى سبيلِ الفخرِ أنْ شَهِدَتْ ... بفضلِ سَبْقِهِما روسٌ وألمانُ!

هُما هُمَا تعرِفُ العلياءُ قدْرَهُمَا ... كِلاهُما كَلِفٌ بالمجــدِ يَقْظانُ

ما الفَرْقَدانِ إذا يوماً هُما طَلعا ... فى مَوْكِبٍ بهما يَزْهو ويزْدانُ؟

* * *

ياكافِىَ الناسِ بعــدَ اللهِ أمْرَهُمُ ... النَّصرُ إلا على أيديكَ خذْلانُ!

ويا مُنيلَ المعـــالى والنَّدى كرماً ... الرِّبْحُ مِنْ غيرِ هذا البابِ خُسْرانُ

مَوْلاىَ ! هَلْ لِفَتى بالبابِ مَعْذِرَةٌ ... فعَقْلُه فى جلالِ المُلْكِ حيْرانُ !

سعَى على قَدَمِ الإخْلاصِ مُلْتَمِساً ... رِضاكَ فهْوَ على الإقْبالِ عُنْوانُ

أَرَى جَنابَكَ رَوْضاً للنَّدَى نَضِراً ... لِأنَّ غُصْنَ رَجائى فيـــه رَيَّانُ

لا زالَ مُلْكُكَ بالأنجالِ مُبْتَهِجاً ... مابَاتَ يُثنى على عَلْياكَ إنسانُ

« وقال مهنئاً للجناب العالى الخديو عباس
بولادة إحدى الكريمات السنيات »

أَعْطَى الْبَرِيَّةَ إِذْ أَعْطَاكَ بارِيها ... فَهَلْ يُهَنِّيكَ شِعْرِى أَمْ يُهَنِّيها
أَنْتَ الْبَرِيَّةُ فَاهْنَأْ وَهْيَ أَنتَ فَمَنْ ... دعاكَ يوماً لِتَهْنَا فهوَ داعِيها
عِيدُ السَّماءِ وعيدُ الأرضِ بَيْنَهما ... عِيدُ الخلائقِ قاصِيها ودانِيها
فبارَكَ اللهُ فيها يومَ مَوْلِدِها ... ويَومَ يَرْجُو بها الآمالَ رَاجِيها
ويومَ تُشرِقُ حوْلَ الْعَرْشِ صِبْيَتُها ... كهالَةٍ زانتِ الدُّنيا دَرَارِيها
إِنَّ العِنايَةَ لَمَّا جامَلَتْ وَعَدَتْ ... أَلا تَكُفَّ وأَنْ تَتْرَى أيادِيها[1]
بكُلِّ عالٍ من الأنجالِ تَحْسَبُهُ ... مِن الفراقِدِ لَوْ هَشَّتْ لرائِيها
يَقومُ بالْعَهْدِ عن أَوْفَى الجدودِ به ... عن والدٍ أَبْلَجِ الذِّماتِ عالِيها
ويأْخُذُ المجْدَ عن مِصْرٍ وصاحِبِها ... عنِ السَّراةِ الأعالى مِنْ مَوالِيها
النَّاهِضِين على كُرْسِيِّ سُؤْدَدِها ... والقابِضين على تاجَيْ مَعالِيها
والساهرين على النِّيلِ الْحَفِيِّ بها ... وكأْسِها وحُمَيَّاها وساقِيها

* * *

مَوْلايَ لِلنَّفْسِ أَنْ تُبْدِي بَشائِرَها ... بِمَا رُزِقتَ وأَنْ تُهْدِي تهانِيها
الشَّمْسُ قدرًا بلِ الجَوْزاءُ مَنزِلَةً ... بَلِ الثُّرَيَّا بل الدُّنْيا وما فيها

(1) تترى : متواترة متتابعة ، وقد استعملها الشاعر هنا بمعنى تتواتر ...

أُمُّ الْبَنِينَ إذا الأوطانُ أَعْوَزَها   مُدبِّرٌ حازِمٌ أو قَلَّ حامِيها

مِنَ الإناثِ سِوَى أنَّ الزمانَ لها   عَبْدٌ وأَنَّ الملأَ خُدَّامُ ناديها

وأَنَّهَا سِرُّ عبَّاسٍ وبَضْعَتُهُ   فَهِيَ الفضِيلَةُ مالِي لاأُسَمِّيها

أَغَرُّ يَسْتَقْبِلُ الْعَصْرُ السَّلامَ به   وتُشرِقُ الأرْضُ ما شاءَتْ لياليها

عَالِي الأريكةِ بين الجالِسين، لهُ   منَ المفاخِرِ عاليها وغالِيها

عبَّاسُ عِشْ لنُفوسٍ أنت طِلْبتُها   وأنت كُلُّ مُرَادٍ منْ تناجيها

تُبْدِي الرجاءَ وتدْعُوهُ لِيَصْدُقَها   واللهُ أَصْدقُ وعْداً وهْوَ كافيها

بيني وبين أبي العلاء

بَيْني وبين أبي العــلاءِ قضيَّةٌ

في البِرِّ أَسْتَرْعِي لها الحُكَماءَ :

هُوَ قدْ رأى نُعْمَى أبيه جِنايةً (1)

وأرَى الجِنــايةَ من أبي نَعْماءَ !

---

(1) يشير إلى قول أبي العلاء المعري :

هـــذا جَناهُ أبي علــيَّ وما جَنَيْتَ على أحَدْ !

وأبو العلاء لم يتزوج ولم ينجب

دَوَاءُ المُتَيَّم

دَاوِ المُتَيَّمَ دَاوِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجِدَ الدَّوا
إِنَّ النَّواصِحَ كُلَّهُمْ قالوا بِتَبْدِيلِ « الهوا »[1]

* * *

فتحتُمُو باباً على صَبِّكُمُ لِلصَّدِّ والهَجْرِ وطُولِ النَّوى
فلا تلومُوهْ إذا ما سَلا قد فُتِحَ البابُ ومَرَّ « الهوا »[1]

---

(١) يستعمل الشاعر كلمة « الهوى » على طريقة الايهام عند البديعيين ، فيقصد معنى ويوهم معنى غيره ، والهوا مقصور « الهواء » غير الهوى بمعنى العشق والمحبة !

وكتب على صورة مهداة لصديق

سَعَتْ لكَ صُورَتِي وأتاكَ شَخْصِي   وسارَ الظِّلُّ نحْوَكَ والجِهاتُ

لأنَّ الرُّوحَ عِنْدَكَ وهْيَ أصلٌ   وحيثُ الأصلُ تَسْعى المُلْحَقاتُ

وهَبْها صُورَةً من غَيْرِ رُوحٍ   أليْسَ من القَبُولِ لها حياةُ !

هذه القصيدة والقصيدة التالية لم يكن موضعهما هنا، وكان الأمثل أن ننشرهما فى باب «المتفرقات» من أول هذا الجزء، ولكنهما لم تقعا لنا إلا بعد أن وصلنا من طبع الديوان إلى هذه المرحلة، ولم نر إغفالهما، فآثرنا لهما هذا المكان

ابن زيدون

«أنشأها ترحيباً بديوان ابن زيدون حين ظهر مطبوعا لأول مرة فى مصر بعناية الأستاذ الأديب كامل كيلانى»:

يا ٱبْنَ زيدونَ مَرحبَا ... قد أطلْتَ التَّغيُّبا

إن ديوانَكَ الذى ... ظلَّ سرًّا مُحجَّباً،

يَشتكى اليُتْمَ دُرُّهُ ... ويُقاسِى التَّغرُّبا...

...صار فى كل بَلدةٍ ... للألِبَّاءِ مَطْلبا

جاءنا «كاملٌ» به ... عربيًّا مُهذَّبا

تَجِدُ النَّصَّ مُعجِبا ... وترى الشرحَ أعجبا

أنتَ فى القولِ كلِّه ... أجملُ الناسِ مَذْهبا

بأبِى أنتَ هَيْكلاً ... مِن فنونٍ مُركَّبا

شاعِراً أم مُصوِّراً كنت أم كنت مُطربا
ترسل اللحن كلّه مُبْدِعاً فيـــه مُغرِبا
أحسنَ النـــاس هاتفا بالغـــوانى مُشبِّبا
ونزيــلَ المُتــوّجــينَ النـديمَ المُقرّبا
كم سَقاهم بشعره مِدْحــةً أو تعتُّبا
ومن المدْحِ ماجرَى وأذاعَ المنـــاقِبا

✡ ✡ ✡

وإذا الهَجْــوُ هاجَهُ لِمُعـــاناتـــهِ أبَى
ورآه رَذِيــلَةً لاتُمَاشِى التـــأدُّبا
ماأَى النـاسُ شاعِراً فاضِـلَ الخُلْقِ طيِّبا
دَسّ للنّـاشقين فى زَنْبَقِ الشعْـرِ عقْربا

✡ ✡ ✡

جُلتَ فى الخُلدِ جَوْلةً هل عن الخلدِ مِن نَبـا
صف لنـــا ماوراءه مِن عيونٍ ومن رُبَى
ونَعــيمٍ ونَضْـرةٍ وظِلالٍ من الصّبَا
وصِف الحُورَ مُوجِزاً وإذا شئت مُطْنِبـــا

✡ ✡ ✡

قم ترَى الأرضَ مِثْلما كنتُمو أمْسِ مَلْعَبا
وترى العَيشَ لم يزَلْ لبَنى الموتِ مَـــأرَبا
وترى ذاكَ بالّـــذى عنـد هــذا مُعذّبا

* * *

إنّ مَروانَ عُصبةٌ   يَصْنعونَ الْعجائبا [١]

طَوّفوا الأرضَ مَشْرِقا   بالأيادى و مَغْــرِبا

هالةٌ أطْلعتْــكَ فى   ذِروة المجدِ كوكبا

أنت للفتــحِ تَنْتَمى   وكفى الفَتْحُ مَنْصِبا

لَسْتُ أرْضَى بغيره   لك جَــدًّا ولا أبا

---

(١) يشير إلى أصله « الرومى » وإلى أيادى بنى مروان على العروبة بما فتحوا من بلاد الروم وبما استعرب من أهلها !

البلبلُ الغَرِدُ الَّذى هزَّ الربَى

«أنشدت فى الحفلة التى أقامتها رابطة الأدب الجديد تكريماً للشاعر الاستاذ «محمود أبو الوفا»، وكانت هذه القصيدة سبباً إلى عناية الحكومة المصرية وقتئذ بالشاعر - أبى الوفا - وتسفيره إلى أوربا لعمل رجل صناعية بدل ساقه المبتورة!»

وعِصابةٍ بالخير ألّفَ شَمْلُهم ... والخيرُ أفضلُ عُصبةٍ ورِفاقا

جعلوا التّعاونَ والبناية هَمّهم ... واستَنْهضوا الآدابَ والأخلاقا

ولقد يُداوُون الجِراحَ ببِرِّهم ... ويُقاتلون البؤسَ والإملاقا

يَسْمونَ بالأدب الجديد وتارةً ... يَبْنُون للأدبِ القديمِ رِوَاقا

بَعَثَ اهتمامَهُمو وهاجَ حنانَهم ... زَمِنٌ يُثير العَطفَ والإشفاقا

عَرَضَ القُعودُ فكان دون نُبوغِهِ ... قيداً ودون خُطَى الشباب وَثاقا

٭ ٭ ٭

البُلبُلُ الغَرِدُ الذى هزَّ الربَى ... وشَجَى الغُصونَ وحَرّكَ الأوْراقا

خَلَفَ البَهاءَ على القريض وكأسِه ... فسَقى بعَذْبِ نَسِيبِه العُشّاقا

فى القيد مُمْتَنِعُ الخُطى وخَيالُه ... يَطوِى البِلادَ ويَنْشُر الآفاقا

سَبّاقُ غاياتِ البيانِ جَرَى بلا ... ساقٍ فكيف إذا اسْتَرَدَّ السّاقا!

لو يَطْعَمُ الطِّبُّ الصَّناعُ بَيانَه ... أو لو يُسيغُ لما يقولُ مَذاقا...

...غالَى بقيمتِه فلم يَصْنع له ... إلا الجَناحَ مُحَلِّقاً خفّاقا!

محجوبیات

«كان بين الشاعر والدكتور محجوب ثابت صلة متينة من الود، وكان بينهما مسامرات ومداعبات أوحت إلى الشاعر ببعض ما ننشره بعد من شعر الفكاهة»

بينَ مَكسوِينى والأُوتومبيلِ!

«كان للدكتور محجوب ثابت حصان يرتاد به ما شاء من أحياء القاهرة فى أيام الثورة، وكان أصدقاؤه يسمون حصانه «مكسوينى»، وهو اسم بطل إرلندى مشهور انتحر جوعاً؛ يكنون بذلك عن هزال الحصان وجوعه وعدم العناية به

«وقد استبدل به الدكتور محجوب سيارة، فنظم الشاعر هذه القصيدة يداعب الدكتور ويعزى حصانه. وقد نشرت هذه القصيدة فى سنة ١٩٢٤»:

لكم فى الخطِّ سيّارَهْ   حديثُ الجارِ والجارَهْ

(أوفرْلاندُ) يُنَبّيكَ   بها الْقُنْصُلُ (طَمّارَهْ) (١)

كَسيّارَةِ (شارْلوتَ)   على السَّوّاقِ جَبّارَهْ (٢)

إذا حرَّكَها مالَتْ   على الْجَنْبَيْنِ مُنْهارَهْ!

وقد تَحْرُنُ أحياناً   وتمشِي وحدَها تارَهْ

---

(١) الشيخ طمارة: كان إماماً بالمفوضية المصرية فى واشنطون

(٢) يعنى شارل شابلن الممثل الهزلى المشهور

ولا تُشبِعُهـا عَيْنٌ مِنَ (البِنْزِينِ) فَوَّارَهْ
ولا تَرْوَى من الزَّيْتِ وإنْ عامَتْ به الفارَهْ
ترى الشارِعَ فى ذُعْـرٍ إذا لاحَتْ من الحارَهْ
وصِبْيـاناً يَضِجُّونَ كما يَلْقَوْنَ طَيَّارَهْ
وفى مَقْـدَمِها بُوقٌ وفى المُؤْخَـرِ زَمَّارَهْ
فقد تَمْشى متى شاءَتْ وقـد تَرْجِعُ مُختارَهْ
قَضَى اللهُ على السَّوَّاقِ أنْ يجعلَها دارَهْ !
يُقَضِّى يَوْمَـهُ فيهـا ويَلْقَى الليلَ مازارَهْ !

***

أدُنيا الخَيلِ (يامَكْسِى) كَدُنيا النـاسِ غَدَّارهْ !
لقـد بَدَّلَك الدهرُ مِنَ الإقبالِ إدْبارَهْ
فصَبْراً يافَتَى الخَيْـلِ فنَفْسُ الحُرِّ صَبَّارَهْ
أَحَقٌّ أنَّ (مَحْجوباً) سَلَا عنـكَ بفَخَّارهْ
وباعَ الأبْلَقَ الحُـرَّ (باوفرلاند) نَعَّارهْ ؟
ولم يَعرِفْ له الفَضْلَ ولا قَـدَّرَ آثارهْ
قـدِ اختارَ لك الشَّلْحَ وما كُنْتَ لتَختارهْ
فَسَـلْهُ ماهو الشَّلْحُ عَسَى يُنْبِيكَ أَخْبـارَهْ

كأنْ لم تحْمِلِ الرَّا يةَ يومَ الرَّوْعِ والشَّارهْ [1]

ولم ترْكبْ إلى الهوْلِ ولم تحمِلْ على الغارهْ

ولم تعْطِفْ على جَرْحى من الصِّبْيةِ نظَّارهْ

فمضروبٌ برَشّاشٍ ومَقلوبٌ بغَدّاره

ولا والله ماكلفتَ (محجوباً) ولا بارهْ

فلا البِرْسيمُ تدْريهِ ولا تعرِف نُوّارَه !

وقد ترْوَى على (صُلْت) إذا نادَمْتَ سُمّارهْ [2]

وقد تسكَرُ من خَوْدٍ على الإفريزِ معْقارهْ

وقد تشْبَعُ ياآبْنَ النيلِ من رَنّةِ قيثاره !

✲✲✲

عسى اللهُ الذى ساقَ إلى (يوسُفَ) سَيّارهْ

فكانت خلفهم دُنْيا له فى الأرضِ كبّاره

يُهَيِّ لك هَوّاراً كريماً وابْنَ هَوّاره [3]

فإنَّ الحَظَّ جَوّالٌ وإنَّ الأرْضَ دَوّاره !

---

(١) يشير إلى ملازمته إياه فى إبان الثورة المصرية سنة ١٩١٩

(٢) مشرب عام فى القاهرة كان يرتاده الصفوة من سكان القاهرة ونزلائها

(٣) هوارة : قبيلة عربية يشتهر بنوها بالكرم ، ومنها بطن تستوطن صعيد مصر

مَكسوِينى ...

« وهذه مداعبة أخرى قيلت فى مكسوينى حصان الدكتور محجوب أيام الثورة المصرية حين كان الدكتور يرتاد بار اللوا وجريدة الأهرام » :

تَفَدِّيكَ يامَكْسُ الجيادُ الصَّلادِمُ ... وتَفْدِى الأُساةُ النُّطْسُ مَنْ أنْتَ خادِمُ

كأنكَ إنْ حارَبْتَ، فوْقَكَ عنتَرٌ ... وتحتَ ابْنِ سِينَا أنْتَ حينَ تسالِمُ !

ستُجْزَى التماثِيلَ التى ليس مِثْلَها ... إذا جاء يومٌ فيه تُجْزَى الْبهائمُ !

فإنك شَمْسٌ والْجِيادُ كواكبٌ ... وإنكَ دينارٌ وهُنَّ الدّراهِمُ

... مِثالٌ بِساحِ الْبَرْلمانِ مُنَصَّبٌ ... وآخرُ فى (بارِ اللّوا) لكَ قائمُ

ولا تَظْفَرُ (الأهرامُ) إلا بثالثٍ ... « مزاميرُ » داودٍ عليه تَوَاغِمُ [1]

وكم تَدَّعِى السُّودانَ يامَكْس هازِلًا ... وما أنتَ مُسْوَدٌّ ولا أنت قاتِمُ

وما بِكَ مما تُبْصِرُ العَيْنُ شُبهَةٌ ... ولكنْ مَشيبٌ عَجَّلَتْهُ العظائمُ !

كأنك خيْلُ الترْكِ شابَتْ مُتونُها ... وشابت نَواصِيها وشابَ القوائمُ

فيارُبَّ أيامٍ شَهِدْتَ عصيبةٍ ... وَقائعُها مشهورةٌ والمَلاحِمُ !

---

(١) نحسبه يعنى المأسوف عليه داود بركات رئيس تحرير الأهرام لذلك العهد

ذَخــــيرَة !

«وهذه مداعبة أخرى - لم تكمل - نظمها فى أيام الثورة ، وهو يشير فيها إلى ألفى جنيه كان الدكتور محجوب قد اكتنزها وحرص عليها فى بنك حسن باشا سعيد ... » :

قُلْ لِابنِ سِينا : لاطَبيبَ اليومَ إلا الدِّرْهَمُ

هو قبلَ بقْراطٍ وقَبْلَكَ للجِراحةِ مَرْهَمُ

والناسُ مُذْ كانوا عليهِ دائرونَ وحُوَّمُ

وبِسِحْرِه تعلو الأسافِلُ فى العُيونِ وتَعْظُم

ياهل تُرَى الألفانِ وَقْفٌ لايُمَسُّ ومحرَمُ !

بنكُ «السَّعيدِ» عليهما حتى القِيامةِ قيِّم .

لا«شيكَ» يظهرُ فى البُنوكِ ولا«حِوَالةَ» تُخْصَم !

وأعَفُّ مَنْ لاقيْتَ يلْقاهُ فلا يَتكرَّم !

... ...

بَرَاغِيثُ مَحْجُوب:

بَرَاغِيثُ مَحْجُوبَ لم أنْسَها ولم أنسَ ماطَعِمَتْ من دمى
تشقُّ خراطيمُهـا جَوْرَبى وتَنْفُذُ فى اللَّحمِ والأعظُمِ!
وكنتُ إذا الصَّيفُ راح احتَجَمْتُ لجاءَ الخريفُ فلم أُحْجَمِ
تُرَحِّبُ بالضَّيفِ فوقَ الطَّريقِ فبابِ العيادةِ فالسُّلَّمِ
قدِ انتَشَرَتْ جَوْقَةً جَوْقةً كما رُشَّتِ الأرْضُ بالسِّمْسِمِ!
وتَرْقُصُ رَقْصَ الغوانِى الحِدادِ على الجِلْدِ، والعَلَقِ الأسحَمِ

* * *

بَواكيرُ تَطْلُعُ قبْلَ الشِّتاءِ وتَرْفَعُ أَلْوِيَةَ المَوْسِمِ
إذا ما «ابْنُ سينا» رَمَى بلغماً رأيْتَ البَراغيثَ فى البَلْغَمِ [1]
وتُبْصِرُها حولَ «بيبا» الرَّئيسِ وفى شارِبَيْهِ وحَوْلَ الفَمِ!
وبَيْنَ حفائِرِ أسنانِهِ معَ السُّوسِ فى طَلَبِ المَطْعَمِ!

---

(١) ابن سينا ، والرئيس : كناية عن الدكتور محجوب نفسه ، ومن الأشياء المحببة إليه التدخين فى « البيبا »

فهرس

أولا : متفرقات فى السياسة والتاريخ والاجتماع

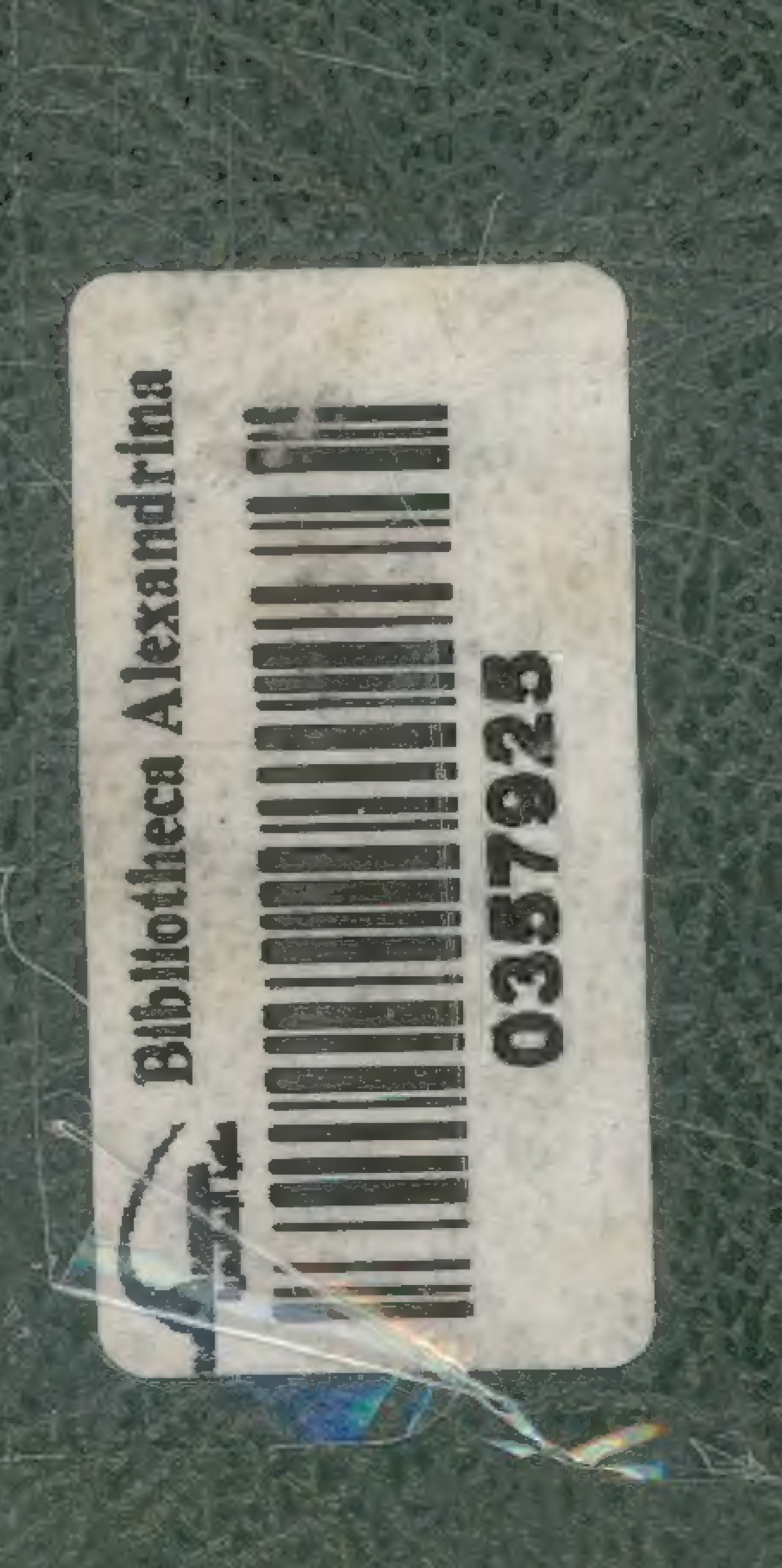
ثالثا : الحكايات

رابعا : ديوان الأطفال

خامسا : من شعر الصبا

سادسا : محجوبيات

تم الفهرس


Bibliotheca Alexandrina
0357925